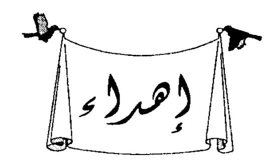
خطوة بخطوة حتى

الفوز بالمرأة الصالحة

أحمد الطهطاوي



إهداء إلى المرأة الأولى في حياتي، التي علمتني وربتني على معاني الخير والإيمان، واستلهمتُ منها درسي الأول، وغرَسَت في حب كل طاهر وجميل.

وإلى المرأة الثانية في حياتي، والتي كمَّل الله – تعالى- بها كياني، وجمع بها شملي، ولمَّ بها شعثي.

إلى أمي الحبيبة، وزوجتي الكريمة.. أهدي هذا الكتاب.

إلى كل أختٍ بكت من حرقتها بعد ذهاب خطيبها، وانهيار حلمها بعش القرار، وبعد أن ملكَ هذا الحلم فيها كل مهجة.

إلى كل أم تحرقت على ابنتها بعد أن قرت عينها بعد طول أمد.

إلى كل مسلم حبيب ملَّ البحث، وأقضت مضجعه لواعج الاختيار، حتى كاد الاستسلام، وبدا له وكأن الدرب ظلام بلا هادي، وتيه ما فيه قرار.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب

خطوة بخطوة حتى

الفوز بالمرأة الصالحة

بطاقة فهرسة

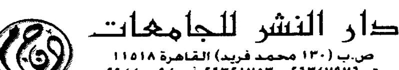
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الطهطاوي، أحمد
خطوة خطوة حتى الفوز بالمرأة الصالحة/ أحمد الطهطاوي
- ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.
٢٢٤ص، ٢٠سم.
تدمك ٩ ٢٦٩ ٣١٦ ٩٧٧
١- الأسرة في الإسلام ٢- المرأة في الإسلام
أ- العنوان ٢١٩,١

تاريخ الإصدار: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٠١٦٧
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977-316-269-9
الكود: ٢/٢٤٧



دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

روى أبو داود عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة:٣٤] .

قال: كبر ذلك على المسلمين.

فقال عمر رضي الله عنه : أنا أفرج عنكم.. فانطلق..

فقال: يا نبي الله، إنه كبر على أصحابك هذه الآية.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث–وذكر كلمة – لتكون لمن بعدكم**».

قال: فكبَّر عمر رضي الله عنه.

ثم قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته**».

* * *





تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فهذه رسالة حول الزوجة الصالحة للسيد أحمد الطهطاوي، تناول فيها بالتفصيل الجوانب التي يجب على من يُقدم على الزواج أن ينظر إليها، ويتأمل على ضوئها ما هو مقبل عليه، وأشار إلى أن عدم الدقة في الاختيار قد تؤدي إلى فشل الزواج الذي يؤدي إلى الطلاق الذي اهتز له عرش الرحمن - كما جاء في الأثر- وتطليق الزوجة يؤدي إلى مشاكل منها: هدم أسرة، وتشريد الأطفال.

وأشار المؤلف إلى إحصائيات تبين الكوارث التي تحل بالأمة كلها.

وقد تحدث كثيراً عن البحث عن ذات الدين، وهل هناك تعارض بين الدين وبين الجمال.. أبداً لا تعارض بينهما لكن الأصل ذات الدين، ثم تأتي بعد ذلك الأوصاف الأخرى: من مال، وجمال، وحسب، ونسب. المهم أن هذه الأشياء تنبثق من الدين ومن الفهم الصحيح له والالتزام به...

إن موضوعات كثيرة ومفيدة في هذه الرسالة؛ كلها تحيط بهذا

الأمر من جميع جوانبه، وهي تزيده وضوحاً خاصة عند الشباب الذين يشغلهم هذا الأمر.

وأوصي الشباب الذي يقدم على استكمال نصف دينه أن يقرأ هذه الرسالة، وأن يدرسها، وأن يتأمل في جوانبها المختلفة، فقد أفاضت في الكثير والكثير.

وطرقت الأبواب وأخذت بيد الشباب المسلم إلى الطريق الصحيح والأسلوب الصحيح، والخطوات المحددة للوصول إلى نتائج - إن شاء الله - تكون طيبة في بناء أسرة مستقرة، تعرف ما لها وما عليها، ويلتزم كل فرد منها بما يجب عليه ويقف عند الحدود التي حددها الشرع الشريف وبينها الإسلام.

جزى الله الأخ المؤلف خيراً على حسن اختياره ومحاولته الناجحة في تقديم زاد نافع لمن أراد أن يبني أسرة - وهي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع- إذا سَلِمَتْ سَلِمَ المجتمع وإذا كانت الأخرى - عافانا الله جميعاً - اهتز المجتمع.

والحمد لله رب العالمين

محمد عبد الله الخطيب

مقدمة عامة

الحمد لله الذي جعل الأرواح جنوداً مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وجعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، وأذاقنا بالنكاح لذة هي أقرب اللذات إلي ما نراه في الجنة من النعمة، وكمل بالزواج نقصنا، وجعلنا به خير أمّةٍ عفةً وسلوكاً، وأرفعها مشاعراً وتطبيقاً.

والصلاة والسلام على أعظم الناس اختياراً لأزواجه، وخيرهم معاملة لهن، محمد بن عبد الله، النبي العظيم، الذي علّم الأمة كيف تسعد في الدارين، وتبني مجتمعاً تطمح الدنيا إلى القرب منه وامتثال منهجه.

أما بعد..

لاشك أن موضوع اختيار الزوجة الصالحة من أهم الموضوعات في حياة المسلم - إن لم يكن أهمها - على الإطلاق في بعض فترات العمر، وذلك أن عينة الاختيار قليلة وغير مجتمعة، والطريقة التي يتم بها هذا الأمر تكتنفها كثير من المجاهل والمصاعب والاجتهادات الشخصية التي قد تنفع وقد تضر، بل وربما بلغ الضرر فيها إلى درجة كبيرة.

كما أن الزواج من أهم القرارات التي يترتب عليها نتائج كثيرة

في حياة المسلم، بالسلب أو الإيجاب، وهو واقع في تلك الفترة بين حيرة الإحجام والإقدام، إقدام يدفعه فيه تلك العواطف المتأججة والغريزة الجارفة، وإحجام يجذبه فيه ما يراه من سوء اختيار وقع فيه غيره، وعدم وضوح النهج الذي يسلكه إلى هذا الأمر المهم.

وإننا في هذا الكتاب تركنا التفصيل للمبادئ التي يقوم عليها الاختيار والتي أفاضت فيها كثير من الكتابات والمقالات بعمق ووضوح، واتجهنا إلى توضيح الطريقة العملية، والتي يتم بها تحرِّي تلك المبادئ أو التأكد من وجودها.

كما أننا نسعى لتوضيح الحدود التي يتحرك خلالها الخاطب، وكيفية التعامل مع كل فرد في تلك العلاقة الحساسة، من المخطوبة وأهلها، والخاطب وأهله وذويه.

كما يضع هذا الكتاب منهاجاً للخطبة لابد أن يراعيه كلٌّ من الخاطب والوسيط في الخطبة وولي أمر المخطوبة جميعاً.

ولقد حبى الله تعالى هذا الكتاب بكثير من التجارب والتي منها ما عايشته بنفسي، أو دار الحوار فيها أمامي، أو حكاها لي إخواني بعد وقوعها لهم، مما أثرى هذا الكتاب بالتجارب العملية التي تضرب المثل، وتوضح المصاعب، وتقي العثرات والزلات.

ولقد ذيلنا موضوعات الكتاب ببعض الفتاوى التي تهم الخاطب في تلك الفترة والتي تقرِّب له تناول الحكم الشرعي في

مسائل الخطبة.

إن كثيراً من المقالات والكتابات تحض على الزواج من ذات الدين، لكنها لا تبين كيف يختار المرء تلك الزوجة.

والزواج في العالم العربي والإسلامي يمر بحالة من انعدام الوزن؛ حيث كثُر وفشا كلُ قبيحٍ من زواج سري وعرفي، وعنوسة وتقدم سن الزواج، وبطالة وغير ذلك، بجانب العادات والتقاليد البالية التي ارتقت عند القوم إلي التشريع، وعقَّدت من طريقة اختيار الزوجة، ولا يعني ذلك أن تلك الأسر التي تكونت بهذه العجلة في سلامة من الانتقاص والانتقاض.

نحن نواجه قائمة كبيرة من حالات الطلاق والتي يرجع أغلبها إلى مشكلات ناتجة عن سوء الاختيار وقلة التوافق، حتى إن البعض أصبح ينظر للزواج على أنه سجن لابد من وروده والدخول فيه.

وسنسعى في هذا الكتاب بتوفيق الله تعالى إلى نقد السلوكيات الخاطئة في مسألة الخطبة، ومعرفة الطريقة العملية التي يتم بها انتقاء الزوجة الصالحة، وكذلك السلوك الواجب اتباعه أثناء تلك الفترة (الخطبة) حتى تؤتي ثمارها وينتفي عنها كل محذور.

رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وانفع بهذا الكتاب واجعله في موازين حسناتنا جميعاً، آمين.

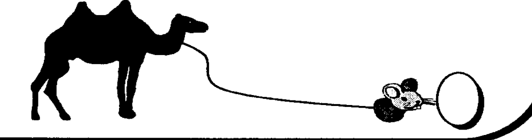
الفصل الأول

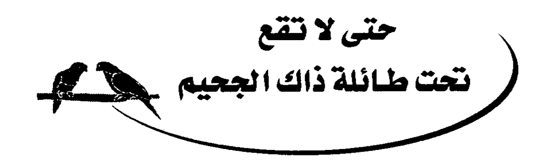
قبل الذهاب

تكوين الفكرة وتصحيحها

فأر أحب ناقة

يحكى أن فأراً نظر إلى ناقة ونظرت إليه، فوقع كلٌّ منهما في حب صاحبه، فأمسك الفأر بأسنانه بخطام تلك الناقة ثم سار بها طائعة إلى جحره مستبشراً بهذا الحب، وقد استبد الشوق بتلك الناقة إلى عشها الجديد، فلما وصل إلى الجحر دخل وهو يجر الخطام حتى وصل إلى مسافة من الجحر فإذا بالخطام لا يطاوعه وحاول أن يستجمع قواه ليجذب بحبِّه إلى المأوى فلم يفلح، وكانت الناقة في الخارج يمرِّغ وجهها التراب الواقع على حافة الجحر كلما أراد صاحبها جذبها، فخرج مسرعاً ليستفهم الأمر، وهنا سحبت الناقة خطامها من الجحر، والتقت العينان، وأيقن كلٌّ منهما بوجوب الفراق، وجرت عَبرة في عينها تكلمت بما عجز الكلام عن وصفه، وألْهَمَتْهُ الجواب:«إما أن تختار حبًّا يليق بجحرك، وإما أن تختار جحراً يليق بحبك» .... ومضَتْ.





أخي الحبيب: قبل أن تنساب موضوعات الكتاب بين يديك، لابد أن تقتنع بخطورة موضوعه، لذا فقبل أن أكلمك عن طريقة الاختيار، وكيف ستذهب، وكيف سيكون الحوار يوم زيارة المخطوبة.. فدعنا نلقي نظرة على واقع الزواج الماثل في العالم العربي، ولاشك أن لغة الأرقام والإحصائيات هي أقرب اللغات إلي ذلك العقل الذي نُغْرِيه بالتوغل بين جنبات هذا الكتاب، فمع تلك الإحصائيات نتركك لبرهة، ثم نرجع لنستكمل معك الرحلة.

دعني أستعرض معك أولاً مدى الانهيار الأسري الذي يقع في عالمنا المعاصر:

معدل الطلاق في العالم:

في دراسة عن معدل الطلاق في دول العالم تبين أن نسبة حالات الطلاق بلغت ٥٥٪ من حالات الزواج[١].

---

(١) الأسرة – العدد ٥٤-١٤١٨هـ.

وفي مصر:

بلغ عدد وثائق الطلاق التي صدرت في مصر سنة ٢٠٠٠م فقط ٧٥ ألف وثيقة طلاق[١].

الأسرة الإماراتية في مهب ريح الطلاق:

في دراسة بعنوان «الطلاق في الإمارات - لراشد الكلاسي وعادل الكساري» تم رصد الآتي:

في خلال عام واحد تم عقد الزواج في ٤٣٠٥حالة بينما تم الطلاق في ١٣٢٦حالة في دولة الإمارات، وكانت أسوأ الإمارات طلاقاً إمارة أبوظبي حيث وقعت فيها ٥٧٣حالة طلاق مقابل ٢٩١حالة زواج فقط، وكان٤٢٪ من المطلقين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠و٣٠سنة، وتزداد الكارثة سوءاً عندما نعلم أن نسبة العنوسة بين الفتيات بلغت ٦٨٪ وهي تعني باختصار أن في كل بيت توجد فيه عانس، وهذا يعني أن صندوق إعانة المتزوجين هناك قد أثبت فشله في تشجيع الزواج[٢].

---

(١) الأسرة – العدد ٥٤– ١٤١٨هـ - آفاق عربية ١/ ٢/ ٢٠٠٠م.

(٢) http://ww.islammemo.cc/arkam/one_news.asp?Idnews=545

وفي قطر:

تشير الإحصاءات التي أعدها مركز سلمان الاجتماعي بالرياض إلى نتائج مذهلة تنذر بخطر عظيم، فقد وصلت نسبة الطلاق في قطر إلى ٣٨٪ (١).

وفي البحرين:

تشير الإحصاءات التي أعدها مركز سلمان الاجتماعي بالرياض أيضاً إلى نتائج شبيهة بما توصلت إليه في قطر؛ فقد وصلت نسبة الطلاق في البحرين إلى ٣٤٪ .(٢)

أما الكويت – وما أدراك ما الكويت – :

السنة	عدد حالات الزواج	عدد حالات الطلاق	نسبة عدد حالات الطلاق إلى عدد حالات الزواج
1997	7266	2592	35.7%
1998	7712	2844	36.9%
1999	7865	2799	35.6%

(١) الأسرة – العدد ٥٤–١٤١٨هـ.

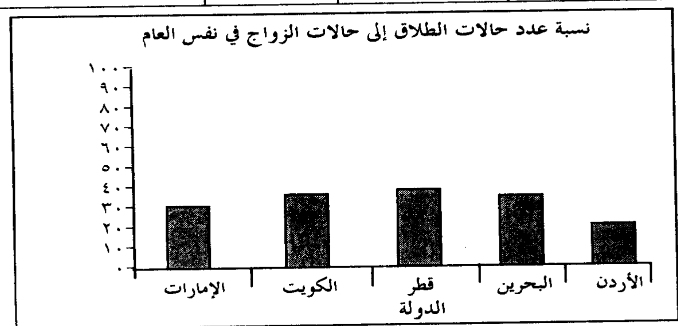
(٢) الأسرة – العدد ٥٤–١٤١٨هـ.

وما نجت الأردن من ذلك أيضاً:

نسب وإحصائيات الطلاق حسب دائرة الإحصائيات العامة والمحاكم الشرعية والكنسية:

حالات الطلاق والزواج في الأردن ما بين ١٩٩٦م-١٩٩٨م[١]

السنوات	عقود الزواج	وقوع الطلاق	نسبة الطلاق إلى الزواج
1996	34425	6317	18.35%
1997	37278	6535	٪17.53
1998	39376	7671	٪19.48



(١) http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/adam-52/masaa-1.asp

وأما عن طلاق حديثي الزواج:

«فقد رصدت البيانات الصادرة عن دائرة الإحصاءات العامة الأردنية: أن حوالي ثلث المطلقين والمطلقات في الشهور الأربع الأولى من العام الحالي ٢٠٠١م لم يمض على زواجهم سنةٌ واحدة، في حين شكَّل المطلقون والمطلقات الذين مضى على زواجهم ١٥سنة فأكثر حوالي ٧٪ من مجموع المطلقين»[1] .

وتشير أحدث الإحصائيات الصادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية في مصر، أن ظاهرة الطلاق أصبحت تمثل أكثر من ٤٠٪ من إجمالي المتزوجين حديثاً، خاصة من أبناء الطبقة المرفهة.

وقد أظهرت دراسة اجتماعية بقطر ارتفاع معدلات الطلاق بين حديثي الزواج في الأعوام القليلة الماضية، حيث رصدت الدراسة ١١٨ حالة طلاق بين حديثي الزواج من مجموع ٣٦٧ حالة، تمثل كل حالات الطلاق، بواقع ٣٢٪ بين الشباب من سن ٢٥ إلى ٢٩»[2].

ويوضح الدكتور محمود محمد عمارة الأستاذ بكلية أصول

---

(١) http://www.islamonline.net/Arabic/news/2001-05/11/% 23top

(٢) http:/www.islamonline.net/Arabic/news/2002-09/23/article39.shtml

الدين جامعة الأزهر:

أن الشريعة الإسلامية في تنظيمها للحياة الأسرية وفي الوقاية من مثل هذه المشكلات بدأت مبكراً من حيث اختيار الزوج لمن يرى أنها تصلح له وقد أوصى الإسلام بأن يختار كلٌّ من الزوجين شريك حياته على أسس قوية متينة هي: الدين والخُلُق، وأن يضع الشاب والفتاة نصب أعينهما - وهما يتخيران شريك حياتهما- أنهما بذلك يتخيران أُمًّا لأبناء المستقبل أو أباً يتقاسم معها نفس المهمة.

ويرى الدكتور عمارة أن سبب ما تواجهه سفينة الحياة الأسرية في سنتها الأولى من مشكلات مردُّه بشكل كبير إلى تغافل الاختيار الجيد لشريك العمر من البداية والجري وراء الشاب الذي يملك المال أو الفتاة ذات الحسب أو الاقتناع بأن ما يتوهمه من حب للطرف الآخر كفيل وحده بإنجاح الحياة الزوجية دون النظر إلى باقي أسس الاختيار التي نبّهَت الشريعة الإسلامية إلى أهميتها [1].

ولكن رُبَّ قائلٍ يقول: إن ذلك كله ناشئٌ عن تلك الطريقة التي يتم بها الزواج في تلك البيئات، أما إذا تزوجتُها عن حب، وطول معايشة، فإن ذلك أحرى بحسن الاختيار وتدقيقه قبل القرار.

---

(١) http://www.ishraqa/com/newlook/art_det.asp?ArtID=1190&Cat_ID=20.

ولكن هل تصدّق أخي أن طريقتك هذه هي أضل السبل، وأكثرها فشلاً، تابع معي:

٨٠٪ من العلاقات العاطفية انتهت بالفشل !!

في استطلاع للرأي أجرته مجلة الشقائق بين مجموعة من الشباب والشابات حول مسألة العلاقات العاطفية التي تنشأ بين الجنسين، أكد نحو ٨٠٪ منهم أن العلاقات العاطفية بينهم وبين الطرف الآخر انتهت بالفشل، في حين قال ٢٠٪ منهم فقط: إنها انتهت بالنجاح. وقال ٤٥٪ منهم: إن العلاقة العاطفية بينهم وبين الطرف الآخر استمرت سنة واحدة فقط، في حين قال ٢٦٪ منهم: إنها استمرت سنتين، وأشار ٢٩٪ إلى أنها استمرت أكثر من ذلك[١].

يا رجال العالم اتحدوا:

ولم يسلم الرجال من هذا الإيذاء؛ فلقد أكدت دراسة حديثة أعدّها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر أن ٢٠٪ من الزوجات يضربن أزواجهن لأسباب تعود إما لضعف الزوج أو تهوره وعصبيته الزائدة، وأن هذا العنف يزداد صيفاً وفي نهاية كل شهر بعد ضياع المرتب.

---

(١) الشقائق – عدد ٧٦ – شوال ١٤٢٤هـ.

وقد أوضحت الدراسة أن نسبة ضرب الأزواج ترتفع بنسبة ٥٠٪ بالنسبة للطبقة الأمية، وتنخفض إلى ١٥٪ بين الأزواج الحاصلين على مؤهل متوسط[١].

ذلك غير الفراق الجسدي والشعوري الذي تعيشه كثير من البيوت، والذي يقتصر فيه دور البيت على الراحة والنوم والطعام، والذي يؤدي إلى خَلْق أجيال مشوهة الشخصية مهزوزة البنيان في المجتمع المسلم.

لابد أن نواجهك - أخي الحبيب - بحقيقة بالغة الخطورة: أننا نواجه ما يشبه الانهيار لقيمة الزواج لدى الكثير من المسلمين، بل وقطاع من الملتزمين بما أنهم جزءٌ من هذا المجتمع، وأن الطلاق أصبح من الحلول سهلة التناول في تلك الآونة، وأن سجلات جلسات الإصلاح حافلة بطلبات للطلاق لأسباب تافهة.

أصبح كثير من الأمهات لا تعبأ إحداهن أن ترى ابنتها مطلقة تعايشها في بيتها - إن لم تكن هي التي أزتها إلى ذلك أزًّا- بعد أن كان ذلك في الماضي القريب نوعٌ من العار كبير.

وفي اعتقادي أن سوء الاختيار من أعظم الأسباب - إن لم يكن أعظمها على الإطلاق - التي تبنى عليها الأسر الواهية، والتي لا

---

(١) http://www.islammemo.cc/arkam/one_news.asp?IDnews-483 18-4-06.

تلبث أن تنهار أو تهدم عند أول صدام، أو خلاف.

ذلك غير الأسباب الأخرى والتي من أهمها ضعف تحمل المسئولية لدى الشخصية العربية الحالية، والناتج عن هشاشة التنشئة الأخلاقية لدى أبناء هذا الجيل الذي رباه التدليل والفضائيات المتسيبة والفيديو كليب، وبدأت العولمة تضرب بقوة على أوتار قلوب الشباب، وبدأ الاتصال بينه وبين مجتمعات يحيا فيها الرجل مع كل امرأة يعرفها لحين أن يمل منها ثم يهجرها إلى غيرها دون غضاضة.

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام].

* * *

ذات الدين بين الطاعة والعصيان

وبعد أخي الحبيب، بعد تلك الجولة التي أظنك شعرت معي فيها بمدى ما يحيط بالأُسر من مخاوف الطلاق أو الضياع، وكم من بيوت يعيش فيها أشباح في أجساد آدميين، انشغلت فيه الزوجة بنفسها عن البيت، وانشغل فيها الوالد بجمع المال أو التلفاز، بعد أن بَهَت في ضمير تلك الأسرة قدسية الزواج وانطوى عبر الزمن.

ولا يجد الزوج المسكين أي معنى من معاني الزواج السامية التي ضحَّى من أجلها بما يملك، وعاش دهراً يترقب لحظة اجتماع الشتيتين، لينعم بحياة يظلها النور والخير، ولَمَّا لم يجد، أخذ يستنهض في تلك الزوجة ذات الروح الخائرة المعتمة معاني الإيمان، ولاتَ حين مندم.

بأي شيء ستصلحها ساعتها يا مسكين، أستقول لها: إن الملائكة ستلعنها. إنها في هجر للملائكة منذ زمن بعيد وهي لا تكترث.

أسَتجيبُ أمرك؟ كيف ذلك وهي لا تطيع أمر الله الذي خلقها ورزقها وصورها، ورغم تلك النّعم السابغة، فإنها لا تطيعه.

أستقوم لك بالخدمة؟ إنها تكسل عن أداء فرض ربها، هل تظن أن مثل هذه تُتعب نفسها من أجلك أيها العبد الضعيف؟

إن ضمانات طاعة الزوج، واحترامه، وخشيته، كلها ضمانات إيمانية بحتة، تدور مع الإيمان وجوداً وعدماً.

وإن النفس لا يكسرها إلا بلاء مطبق، أو عبادةٌ وطاعةٌ لله ورهبةٌ من جلال السؤال بين يديه، فإن لم تكن هذه ولا تلك فإنما هو البطر والاستعلاء الذي ينال منه الزوج النصيب الأوفر، ويكون بعد ذلك بين خيارات أحلاها مُرٌّ:

إما أن يأخذ في التنازل أمام ذلك العتو، ويحاول إخفاء نفسه حتى لا تفضحه العيون.

أو أن يكون الصراع وعقد الافتراق الجسدي والنفسي رغم المكث في بيت واحد.

أو الطلاق والطلاق أدهى وأَمَرّ.

هذا كله غير:

تقصير الزوج في العمل - الضغوط النفسية - إفشاء الأسرار- الإحراج مع المعارف والأقارب والجيران - الغيرة الخانقة - تشتيت الأسرة والأطفال(١) - والعامل النفسي على الأطفال(٢)- وضياع

---

(١) في ندوة أقيمت حول تهدم الوضع الأسري في الخليج يستعرض الشيخ خالد مبارك المنديل قاضي الأحوال الشخصية بالكويت إحصائية ويقول: إن «هناك ١٩١٩طفلا مشرداً بسبب الطلاق في عام ٩٤ بالكويت» (مجلة البيان ٩/ ٦/ ٩٨).

(٢) انتحار الأطفال الذين لم تتجاوز أعمارهم ١٦عاماً زاد ٥٠٠٪ في السنوات العشر الأخيرة (ملحق الأهرام المصري ٢٧/ ٧ / ٢٠٠١م).

أهداف الأسرة المسلمة[١] – والضغوط المادية الناشئة عن الزوجة الحاسدة أو الطامعة أو المتفاخرة...

ذات الدين «وكلامٌ من فيض القدير»:

يقول العلامة المناوي:(ما استفاد المؤمن) أي ما ربح (بعد تقوى الله – عز وجل – خيراً من زوجة صالحة).

قال الطيبي: جعل التقوى نصفين، نصفاً تزوجاً ونصفاً غيره؛ وذلك لأن في التزويج التحصين عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج، وقوله ﷺ: «إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» لصونها من الزنى ومقدماته، وهذا بيانٌ لصلاحها على سبيل التقسيم؛ لأنه لا يخلو من أن يكون الزوج حاضراً؛ فافتقاره إليها إما أن يكون في الخدمة بمهنة البيت والمداعبة

---

(١) تمت في دبي تجربة أسميت بـ«الخط الساخن» قامت بها جمعية رعاية وتوعية الأحداث، وقد صرح أمين سرها: أنه بعد مرور ١٥ يوماً فقط على بدء التجربة وصل عدد الاتصالات الهاتفية إلى ١٢٥ اتصالا تطرح مشكلات اجتماعية متعددة: ٧٥ ٪ منها مشكلات فعلية وخطيرة ويمثل المواطنون ٧٦٪ من نسبة المتصلين، وبدراسة متأنية تبين أن ٨٠٪ من تلك الحالات بدأت مع التفكك الأسري الذي أدى لسوء التكيف الدراسي ومع عدم دراية بعض أولياء الأمور بأساليب التربية والتعامل مع النشء خصوصاً المراهقين... (مجلة زهرة الخليج، شباط، عدد٩٨٨، ١٩٩٨).

والمباشرة فتكون مطيعة فيما أمرها، وذات جمال ودلال فيداعبها، وتنقاد إذا أراد مباشرتها. أو غائباً فتحفظ ما يملك الزوج من نفسها؛ بأن لا تخونه في نفسها وماله وإذا كان حالها في الغيبة على هذا ففي، الحضور أولى، وهذه ثمرة صلاحها.

وإن كانت ضعيفة الدين؛ قصرت في صيانة نفسها وفرجها، وأزرت بزوجها، وسودت وجهه بين الناس، وشوشت قلبه، ونغصت بذلك عيشه، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة، أو سبيل التساهل كان متهاونا في دينه وعرضه، وإن كانت مع الفساد جميلة كان البلاء أشد لمشقة مفارقتها عليه [١] .

(والمرأة الصالحة) بأن تكون صالحة للاستمتاع بها والإعفاف، صالحة لدينها، صالحة لحفظ ماله ومنزله؛ بحيث لا تخونه في نفسه ولا في ماله حضر أو غاب. [٢] أ.هـ.

وذات الدين هي من تخشي الله تعالي وتحكّمَه في مظاهر حياتها جميعاً، ومن تضع الدين فوق الرأي والميل، وتسعى للتخلق بأخلاق الدين من العفة والطاعة والقناعة، ومن لا تأنس إلا في رحاب

---

(١) فيض القدير للعلامة المناوي، الجزء الخامس، ص٤٠٣ حرف الميم. الحديث رقم ٧٨١١.

(٢) المرجع السابق، الجزء الثالث.حرف التاء. الحديث رقم ٣٤٣٨.

الصالحات وتنأى بنفسها عن مصاحبة كل مستهترة لعوب.

وهي من يتسم يومها بمدد من الروحانيات التي تغذي إيمانها وتجعله متحركاً نابضاً أبداً، لا يعتريه الفتور، ولا الحماسة الوقتية الضحلة، وتعلم أن تلك الروحانيات سبيلها إلى جنة ربها، ومعراجها لنيل رضاه جل وعلا.

بعد أن اقتنعت معي أخي الحبيب بأهمية ذات الدين، وضمان الخير والسعادة بين أكناف الحياة معها، تعال معي نعرف كيف يكون اختيارها، واسمح لي أولاً أن نعرف «لماذا يتزوج المسلم».

النية في الزواج:

أخي الحبيب: إنك على مشارف مرحلة مهمة، ستغير من شكل الحياة، وتضع لها صورةً جديدةً، لا أرهبك من الزواج وإنما أقول لك: ستصبح رجلاً مسئولاً؛ مسئولاً عن الدين والتربية والنفقة والرعاية في بيتك. أعرف أن العاطفة تستبد بك، وأن كلمات العاشقين تتلجلج في صدرك تريد لها متنفساً حلالاً، ولكن هذا الزواج حتى تحصل عليه وتسعد به، ستجهد في البحث والسؤال، وتُعْرِض عن كل ذات فتنة شرود، وستدفع من مختزن المال، بعد طول كدٍّ وتجرعٍ لحرمان.

لذا كان لزاما عليك أن تتذكر وأنت على أعتاب هذه الحياة

الجديدة أمراً في غاية الأهمية ، ألا وهو أمر إخلاص النية لله في تلك الرحلة الطويلة، والمفازة المرتقبة، حتى لا يكون زواجاً بهيميًّا لا علاقة له بالغاية التي من أجلها خُلقت، وفي نهاية العمر حين تجف الشهوة، ويتفرق الأولاد، وتهن الصحة، وينطفئ زهو الجمال، تخرج بعد أن أنفقت عمرك ومالك ووقتك وصحتك في بناء هذا البيت، ولكن تخرج من الدنيا حاسراً خالي الوِفاض، وتقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول ﷺ سبيلاً.

أخي الحبيب، إن اليهودي والنصراني والبوذي والمجوسي يتزوج ويتناسل وينفق ويكدّ، أتريد أن يرتفع زواجك عن منزلة زواجهم، أتريد أن تؤجَر حيث لا يؤجرون، وتسلم حين يعطبون، وتتقرب إلى ربك بزواجك حين يبعدون: لا تنس النية والصدق فيها لله تعالى.

أتريد العون منه تعالى: أقبل عليه، وأقرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فلا تنس أن تقدم بين يدي نجواك صدقة من نية صالحة تتقرب بها حتى يقبلك ويعينك ويمدك بفتوح الرشاد والتيسير والرزق.

أتريد أن ترى ما يقرب من خمسةٍ وعشرين عاماً في ميزان حسناتك، كدهم ورعايتهم ونفقتهم وصبرهم وجهدهم، يوم يأتي الناس عرايا إلا ممّا يسترهم من الحسنات، ويرون الموازين تطيش ويزلزلهم الهول، أتريد ذلك: لا تنس النية والصدق فيها لله تعالى.

أتريد أن تُصرَف عن كل متلونة، ويبتعد عن طريقك الممثلات، والمتلاعبات، والمتعنتات: أخلص نيتك.

أتريد أن يبقى الحب والود، ويرعاه الله تعالى بعينه التي لا تنام، ويحرسه بركنه الذي لايضام، أتريد نماء هذا الحب وألا يضمحل ولا يعتريه العثار: لا تنس النية فإن: (كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل) كما قال التابعي الجليل الربيع بن خثيم[1]، وحتى نعينك على نياتك في هذا الأمر وضعناها لك هنا عساك تعلقها أمامك فلا تفارق نظرك، ومن ثَمَّ لا تفارق قلبك:

١- البعد عن ضغط الشهوة الذي ربما أبعدك عن الله تعالى.

٢- إقامة اللبنة الأساسية لتغيير المجتمع بعد الفرد المسلم ألا وهي البيت المسلم.

٣- القرار النفسي والدفء العاطفي الذي به يتسع صدرك ويقوى صبرك.

٤- اتباع هدى رسول الله ﷺ في الزواج الذي قال عنه: **«ومن رغب عن سنتي فليس مني»**.

٥- أن تعان على غض بصرك **«فإنه أغض للبصر وأحصن**

---

(١) طبقات ابن سعد، ٦/ ١٨٦.

للفرج» كما جاء في الصحيح.

٦- إدخال السرور على الأخت المسلمة وأهلها.

٧- إعفافها وإشباع رغبتها الحلال.

٨- إيجاد البيت الذي تستطيع فيه الزوجة أن تزداد إيماناً وفهماً، وإبعادها عن مظنة الوقوع فيما يسلبها ذلك كله من الزواج بالردي.

٩- الغنى: فإن الزواج من أعظم أسباب الغنى، يقول تعالى في سورة النور: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[النور:٣٢].

قد يقول قائل: حتى أكون صريحاً مع نفسي فإني لا أبغي من الزواج غير قضاء الشهوة والوطر، ولا أرى أني أستطيع أن أكون صادقاً في تلك النوايا السابقة، فنقول له: ذكّر نفسك بما سبق وحاول أن تستشعر ثوابه.

ذكّر نفسك أن الشهوة لدقائق معدودة، فكيف ببقية اليوم، وبقية العمر.

إن الله لا يمنعك من التمتع بطاعته وعبادته، فلماذا تتصور أنه إذا كنت مخلصاً في زواجك فيجب عليك أن تنزع عنك داعي الشهوة، فهذه مصادرة على ما جبلك الله وفطرك عليه، فليس معنى

أن تبتغي بطعامك وجه الله ألاّ تجد لذة لذاك الطعام.

انو أنت والله أكبر وأكرم، فلعل لحظة صدق ونفحة تنالك من وراء نية من تلك النوايا، تسعد بها أبداً.

إن النية إذا تعمّقت وصحّت فإنها ستصرف عنك سوء الاختيار، فلا سعي وراء امرأة للافتخار ولا طلب زواج ممن لا تعين المرء على طاعة الله مهما كانت، وستحيطك استخارتك أيها المخلص برعاية ربك، وستردك النية إلى الخير وتبعد الشر عنك حتى وإن تعلّق به فؤادك.

حوارٌ طريف

• زوجتي العزيزة: نظراً لما يتعرض له المسلمات في البوسنة فقد رأيت أن تعينيني على اغتنام الثواب، وتقبلي أن أتزوج بأخت منهن حتى نرعاها.

• زوجي الحبيب: أعلم مدى حرصك على الثواب لذا فإني أرشح لك من هي أحوج إليك، أخت هربت من شدة المجاعة في الصومال!!!.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

الطيبون للطيبات:

في هذه الآونة التي تَطلب فيها فاطمة، لابد أن تكون عليًّا، فلابد من القرب واللجوء إلى الله، الذي يعلم السر وأخفى، يعلم دبيب أفكار الناس على خواطرهم، يعلم ما يصلح لك وما لا يصلح، أرحم بك من أمك وأبيك والناس أجمعين، وأرحم بك من نفسك الطائشة الهوجاء، تريده أن يكون معك، كن معه، تريده أن

يستجيب لك استجب له، الله الذي ستستخيره في زواجك بتلك الفتاة أو غيرها، الله الذي يعلم سرها ونجواها، الله الذي سيصرف عنك ما هو شر لك أو يصرفك عنه بعد أن ظننت بنظرك القاصر أن لا خير إلا في ذلك الاختيار، الله الذي سيفتح عليك رزق الزواج ويأتيك به من حيث لا تدري، الله الذي يدفع عنك تعنت ولي الأمر ويلين لك كلامه، وييسر لك ما عسر على غيرك من أمر الزواج، تعرف إليه وحاول أن تنزل رحالك ببابه وتنتظر أن يختار لك رفيقة العمر.

عليك بالانتظار بالباب حتى يفتح لك، تذلل بين يديه فليس الأمر باليسير، إنه كما قال المعصوم فيما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعاً: «من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء».

وفي رواية لابن حبان: «المركب الهني، والمسكن الواسع» وفي رواية للحاكم: «وثلاثة من الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق».

وللطبراني من حديث أسماء: «إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة» وفيه: «سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم

رحمها وسوء خلقها»[١].

فهذا الأمر مفرق طريق بين السعادة والشقاء، بين القرين الصالح والقرين السوء، ألا يستحق كل ذلك اللجوء منك والقرب والسعي إلى ربك.

فإن قصرت بك همتك، وغلب عليك المألوف، فإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء والتضرع، لقد طال الأمر ببعضهم إلى عام ونصف وهو يدعو في معظم صلاته لا يكل، ويعلم أن لهذا الدعاء عند الله مكانة لا تضيع، وأنه لا يضل ربي ولا ينسي، حتى أعطي جواب السؤال مما تقر به العين ويفرح به الفؤاد.

ادع الله في سجودك في كل صلاة، وبعد صومك، ناديه تعالى وقل:

اللهم ارزقني زوجة صالحة تقر بها عيني، ويصلح بها أمري، وتعينني بها على طاعتك، وتعصمني بها من الزلل.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

اللهم ارزقني زوجة تقية جميلة متواضعة زكية، عظيمة أخلاقها،

---

(١) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، المجلد التاسع. كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة.

رفيعة مبادئها، تحبني وتطيعني فيما يرضيك وتكون سبباً في سعادتي في الدنيا والآخرة.

اللهم ارزقني من يذكرني إذا نسيت ويعينني إذا ذكرت، ومن تحسن تربية ولدي على الإسلام.

اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء وعضال الداء وشماتة الأعداء.

اللهم إني أعوذ بك ممن تستطيل عليّ بلسانها، وتعلو عليّ بجمالها، ويشمئز قلبي لرؤيتها، وتسوء أخلاقي من معاشرتها.

اللهم إني أعوذ بك من امرأة تزرع الدنيا في قلبي، وتنسيني ديني وآخرتي، ويفتر بجوارها سعيي وهمتي.

آمين آمين آمين

ارفع يديك بعد طول العناء صادقاً وقل كما قال نبي الله موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فرزقه الله بهذا الدعاء: زوجة وبيتاً وعملاً في ساعة واحدة.

لا تنتظر أن تكون هي رجل البيت:

من الأخطاء التي شاعت بين الناس أن بعض الإخوة يطلب زوجة أكثر منه تعبدا ويقول (حتى ترفعني) ولابد أن تعلم أخي الحبيب أن الزوج هو الذي يرفع من همة زوجته وليس الزوجة،

وأنه ما لم يوقظها للفجر ففي الأغلب أنها ستنام، وما لم يحثها على القرآن فستضعف، وما لم يدفعها إلى الانتظام في عباداتها فلن تفعل، إلا الراسخات في الدين، وقليل ما هن.

بل إن العكس هو الغالب أن الزوج إذا كان ضعيفاً فستضعف زوجه بعد قوة وتفتر بعد حماسة، ولكم حكى لي البعض أن زوجاتهم كانت الواحدة منهن قبل أن تتزوج به تحافظ أكثر على الفجر بل وقيام الليل، والسنن، ومنذ أن التحقت ببيت هذا الزوج – ونظرا لضعفه في هذا الجانب – فقد ضعفت كثيراً عمّا كانت، حتى قبل فترات الحمل والإنجاب.

فليس بالفحولة والنفقة والمال يكون حظ المرء من خصال الرجال.

فإن لم تجد تلك السابقة فارض بالتوسط ولا تغالي حتى لا تتعب خيلك.

* * *

البركة في البكور

وكلما بكّرت أخي في طلب الزواج كان أغض للبصر وأحصن للفرج، وأبعد عن أزمات النفس، وصبوات الشباب، ولا تحسب أنّك عن ذلك ببعيد.

قال ﷺ: **«إن الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة»**[١].

قال حجة الإسلام: وهذا عزيز نادر فلذلك قرن بالتعجب[٢].

وهناك أيضاً ميزة أخرى مهمة؛ ألا وهي أنك كلما بكرت بطلب الزواج وجدت الشريحة السنية التي تتحرك فيها واسعة، وكلما تأخرت ضاقت تلك الشريحة، فمثلاً يستطيع من بلغ خمسة وعشرون عاماً أن ينتقي من سن السابعة عشرة إلى ثلاثة وعشرين عاماً، فستجد هذه الشريحة مليئة بكل الصفات المطلوبة، أما إذا

---

(١) رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر، تصحيح السيوطي: حسن (الجامع الصغير – لجلال الدين السيوطي المجلد الثاني – [تتمة باب حرف الألف]).

(٢) (فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمام المناوي الجزء الثاني – [تابع حرف الهمزة]).

تأخرت إلى الخامسة والثلاثين مثلاً، فإن بداية السن الذي ستُضطر وأن تطلب منه من سن السابعة والعشرين.

ولربما تعلّقت ساعتها بفتاة اكتمل فيها كثير مما تريد ولكن نظراً لأنها في بداية العشرين فإن أهلها يضنون بها عليك، ويردونك.

* * *

هل البحث عن الجمال ينافي صدق التدين؟

كم أنا خائف وأنا مُقدم على طلبي هذا، ولكنه شيء جبلت عليه، نعم ولكني لطالما سمعته ينعي على من يطلب الجميلة، ويقول: إنه يريد راقصة لا زوجة، ويريد تمثالاً لا روح فيه، يا ربي ماذا أفعل، إذا قلت ذلك ربما سقطتُ من نظره، وأنزلني إلى هاوية لا أعرف لنفسي منها نجاة ولا صعوداً، يا ربي أهذا شيء من رواسب الجاهلية في نفسي، ربما وبخاصة أنه ما زالت نظرة إلى الفاتنات تأسرني، أخشى أن أصبح مثار التندر في المجالس ولا يتوقف الأمر عند حد سقوطي من نظره فقط.

لقد سمعته كثيراً يشكر في إحدى الصالحات ويزكيها، وأستشعر منه أنه يرشحها، لكن نفسي لا تطاوعني بأخذ هذا القرار، نعم.. فليس كل ما يعجبه يعجبني، وهذه ميول ولا شك .. لابد أن أتشجع وأقولها، فهو من له مكانةٌ في قلبي، وهو بوابتي الأمينة لاختيار ذات الدين..

- لا يا حسن لا تفعل، حاول أن تُغيّر من نفسك أولاً، من سيأخذ العادية إذا أخذ كل واحد الجميلة، ومن لأختك «هناء»

يأخذها على بساطتها، وأين جمالك أنت لتطلب الجميلة الحسناء..

– يا نفسي ارحميني، قد تعبت وأتعبتيني معك.. أرى أن أذهب إلى الشيخ حامد.. نعم إنه رجل صقلت الأيام خبرته، وجعلت له بصيرةً نافذةً، ومن المؤكد أنه عُرض عليه مثل ذلك كثير، نعم هيا أيتها النفس المتعبة إلى ذلك الحكيم فهو رجلٌ أمين أثق بخبرته..

وهناك بالمسجد بعد صلاة العشاء دار هذا الحديث مع الشيخ.

شرحت له ما في نفسي من مؤتمر لا أجد له قراراً ، ومن صراع بين الفكرة والميل، وبين ما أسمعه وما يصرخ بداخلي رافضاً لما أسمع، فأين السبيل إلى خلاص.

فقال لي: اسمع يا حسن، إن طلب ذات الدين هو الخير الذي يدلُّ عليه الشرع، وتحلو به الحياة، ويسعد به المرء في الدنيا والآخرة وأنت عليم بهذا المجال فلا أطيل عليك، ولكن مجتمع ذوات الدين دائرة كبيرة تناسب كل الميول، ولا يعني طلب ذات الدين أن يصادر الإنسان على طبعه وميله، فإن ذلك ربما أدى – رغم وقوع الزواج – إلى رجوع الإنسان من حيث بدأ من نزغ طبعه عليه وغلبة هواه، فلا تتحقق فائدة الزواج.

يقول الغزالي: «إن الخصال المطيبة للعيش التي لابد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية: الدين،

والخلق، والحُسن، وخفة المهر، والولادة، والبكارة، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة».

ويقول عن حسن الوجه: «فذلك أيضاً مطلوب، إذ به يحصل التحصين والطبع لا يكتفي بالدميمة غالباً» .. وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال، بل هو زجرٌ عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين، فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغّب في النكاح ويهوّن أمر الدين ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالباً وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب الشرع النظر فقال

«المرأة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً»

أبو سليمان الداراني

النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة عندما خطب امرأة: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**[1] أي يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على

(١) رواه الترمذي وحسنه، والنسائي وابن ماجه. قال الماوردي: لكنهم كرهوا ذات الجمال البارع فإنها تزهو بجمالها، وإن الإمام أحمد قال لبعض أصحابه: ولا تُغالِ في المليحة فإنها قل أن تسلم لك وأن تكون عاقلة» انظر مغنى المحتاج — =

الأدمة: وهي الجلدة الباطنة، والبشرة هي الجلدة الظاهرة، وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف، وقال ﷺ: **«إن في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن»**(١)، قيل: كان في أعينهن عمش، وقيل: صغر، وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازاً من التغرير، وقال الأعمش: «كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همّ وغمّ».

ومعلوم أن النظر لا يعرِّف الخُلق والدين والمال، وإنما يعرِّف الجمال من القبح، وروي أن رجلاً تزوج على عهد عمر - رضي الله عنه- وكان قد خضب فنصل خضابه (٢)، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا: حسبناه شابًا. فأوسعه عمر ضرباً، وقال: غررت القوم.. فأما من أراد من الزوجة مجرد السُنة أو الولد أو تدبير المنزل، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا، وإن كان قد يعين على الدين في حق بعض الأشخاص.

قال أبو سليمان الدارمي: الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجلُ العجوزَ إيثاراً للزهد في الدنيا، وقد كان مالك بن

= للخطيب الشربيني-كتاب النكاح.

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة نحوه.

(٢) أي: زال عنه خضابه أو لونه. انظر المعجم الوسيط (٢/ ٩٦٤) مادة: نصل.

دينار رحمه الله يقول: يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير، ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول: اكسني كذا وكذا! واختار أحمد عوراء على أختها وكانت أختها جميلة، فسأل: من أعقلهما؟ فقيل: العوراء. فقال: زوجوني إياها، فهذا دأب من لم يقصد التمتع، فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن مستمتع فليطلب الجمال، فالتلذذ بالمباح حصن للدين، وقد قيل: «إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة طرفها عليه فهي على صورة الحور العين»[1].

– ولكن يا شيخي أشعر بعض الأحيان أن هذا تجاهل لحق العادية في الزواج، وكذا حق الدميمة أيضاً في أن تجد لها حليلاً، وإن لديها ما لدى صاحبتها من الرغبة والميل.

– يا ولدي إن الله قد قسَّم بين الناس الميول والرغبات. ومن في عينك دون مستوى الجمال هي في عين زوجها باهرة، أو أن بها من جمال الروح ما يجعلها محببة إلى زوجها فكما تجد من الجميلات

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، المجلد الثاني، باب: فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد، دار الكتب العلمية بيروت ص٤٤.

من تعشق زوجها رغم تأخره البادي في مسألة الوسامة فإن العكس يحدث وتلك أمور من شئون الروح يصرِّفها من يعلم أمرها.

وانظر كم من متوسطة في الجمال يتزاحم عليها الخطاب، وكم من جميلة تأخرت، وكم من دميمة في نظرك يودُّ زوجها أن يفتديها بنفسه إن أحاطها السوء أو مسها شر أو أحدق بها خطر، وانظر إليه كيف يلفها بذراعيه لينقذها من سيارة كادت تنهش جسدها من على الأرض، ويود لو يطير وراء ذلك الذي كاد أن يخطف لُبَّه ليفتك به، وكم من دميمة في نظرك قد حملت وأثقلت، وحين يفجأها مخاضها رأيت عجباً من قلق الزوج واضطرابه حتى لا يكون بينه وبين البكاء فرقاً إلا خشية أن يُؤثر ذلك عنه، وانظر إلى فرحته بسلامتها وحنوه عليها.

سألت يوماً صديقاً لي أسود البشرة فقلت له: سامحني يا أخي؛ كيف تجد نفسك تجاه قريباتك في السمار هؤلاء؟ فقال لي: إننا لنجد تجاه تلك السمراء ما تجدوه تجاه البيضاء والخمرية وأكثر، وبالعكس فإن الواحد منا لا يطيق أن يتزوج من تلك البيضاء المتبلدة ويشعر بوقوف دمها وعدم ميله إليها البتة، فقلت: سبحان من صرَّف هذا الكون!!

وإن المرء ليستشعر أن آية الله في اختلاف ألوان البشر ليست فقط في الدرجة اللونية، إنما أيضاً في مواءمة اللون مع الخِلقة

والقسمات، وفي توافد الميل على المماثل أو الموائم ونفرة الطبع من غيره.

ولا يملك المرء حين يرى ذلك كله إلا أن يقول:

سبحان من خلق هذا الكون وسيّره.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم].

إن الجمال نسبي، فمَن هي جميلةٌ في عينك؛ هي دون ذلك في عين غيرك، ومن نفرتَ عنها، فإن لها من يسهر لأجل وجده بها ليالٍ طوال، ويضرب لأجل زيارتها أكباد القطارات في فيافي البلاد يحدوه حادي اللهفة والشوق، يرن بمسامعه كلماتها العِذاب، وينتهي من زيارتها وقد ترك معها قلبه، وأخذ منها خيالات طيفها يتسلّى بها إلى أن يعود.

فإن الله يبث في أجمل النساء حبًّا لوليدها غريب، حتى وإن بلغ في القبح منزلا، وهذا الحب يبلغ من درجته أنها تستعذب رؤيته وتتحمل مشقات تربيته، وكذا الأمر تجاه زوجها وأكثر.

ليست المشكلة يا ولدي في الزواج من جميلة، فهذا أمر لا يزعجنا إنما السوء في أن يبحث المرء عن امرأةٍ يكمِّل بها غروره، ويبغي بها أن يضيف علوًّا إلى ذاته كما يفعل بسيارةٍ فارهة أو مَلبسٍ

لامع، أو أن يكون الرفض من امرأةٍ قد فتح للشيطان باباً إلى قلبه؛ شَعَر معه بالجرح والانكشاف الذي يود أن يغطيه بالزواج من امرأة تفضُل تلك التي ردّته؛ ليثبت لها -كما يظن- أنها خسرت من تطمع فيه الحسناوات، أو أن يكون التنافس قد استبدّ به فأراد أن ينكح مثيلة من عندَ صاحبه، أو يكون قد وُلد في بيئةٍ تعظم الجمال وتبني عليه كثيراً من المعايير.

وعلامة هؤلاء أنه لا يطلب الجميلة إنما يطلب من يراها الناس جميلة، حتى إن الواحد منهم يسأل أمه وأخته، ويستطلع بخفي الحيلة رأي الناس في جمالها، يريد أن يسأل كل الناس: هل ترى تلك المرأة جميلة؟! فإن اضطربت الآراء وتعددت - كنتيجةٍ طبيعيةٍ لتنوع الميول كما ذكرنا - وجدت له أُفولاً بعد إشراق وإعراضاً بعد لهفة.

- جزاك الله كل خير يا شيخي، وإني لأغبطك على ذلك العمق في الفهم، والكمال في الرؤية، وإني والله قد شرح الله صدري بكلامك هذا وأذهب الله عني به ما يحز في نفسي منذ أمد، ويقيدها عن خيرها.

وإني يا شيخي لم أجد تلك الصراعات إلا لأني أطلب ذات الدين، فلكم تركت جارةً كانت تهفو لرؤيتي وما كان ينقصها الجمال، وجفوت عن زميلةٍ بالعمل وهي بحق (باهرة) لمّا رأيت أنها تريد صداقة لا تريد علاقة عمل لها حدودها، رغم أن الجميع

يخطبون ودّها، ولقد صَدمتُ تلك التي أرسلت إليّ رسالة صريحة تطلب مني أن أكون لها مرشداً وصاحباً، تركت هؤلاء جميعاً ورائي ظهريًّا وغيرهن.. وجئت إليك، ألا يرونني بعد ذلك أطلب ذات الدين، أبعد ذلك كله يتشككون في جديتي ويرمونني بالتسيب، أما يرون أنهم بذلك يعينون الشيطان عليَّ ؟

- يا حسن توكل على الله، إنك يا ولدي على الحق المبين، وسامح إخوانك ولا تحمل عليهم في نفسك، واحمد فيهم حسن النية لتغتفر لهم تلك الفعال.

يا بني اعلم في نهاية كلامنا ما يأتي و ارعه سمعك:

- للمرء أن يتخير لنفسه ما يشاء، وإذا كان التشدد في صفةٍ شكليةٍ كان مقبولاً، أمّا التشدد في كل الصفات فهذه هي المبالغة التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى:

* العناء والجهد في البحث عمّن ترضى بجمالها، أو ترضى بك بعد إعجابك بها.

* وتزيد من احتمالية الآفات في الشخصية، أخرج ابن ماجه والبزار والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن ولا لمالهن فلعله يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأَمَةٌ سوداء خرقاء ذات دين أفضل»**.

* الخوف من أن تتعامى عن سوءٍ في خلقها ونقصٍ في تدينها، متى توافر بك الجموح إلى طلب ما فُتنتَ به.

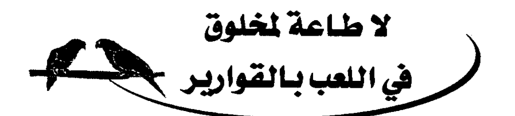
- كذلك تذكر يا ولدي أن الجمال نسبي، فلا تطلب امرأة تعجب غيرك، أو تعجب كل الناس. لا تسأل أمك أو أحداً من أهلك عن رأيهم في شكل زوجتك، وإلا اختلفت الأذواق ووقع الإضراب.

«لا توجد امرأة غير جميلة ولكن هناك امرأة لا تعرف كيف تجعل نفسها جميلة»
حكمة غربية

- وما لم يكن مع الجمال الحسي جمال روحي، فلن تشعر بلذة ذاك الأول.

- وأخيرًا يا ولدي؛ لتعلم أن ربك لا يظلم أحدًا، ولقلة الجمال عند الله تعالى أرزاق أخرى تعوضها؛ فإن لزوجها سعة عظيمة في الرزق ببركتها، أو لولدها نجابة وهمة، أو في ضميرها رضًا ونظافة تسع هذا كله.

* * *



لا تذهب إحراجاً:

حكى لي أحد الأصدقاء أن أباه يلح عليه في أن يقْدِم على الزواج، وصاحبي هذا أخذ يؤكد لأبيه أنه يريد الزواج ولكنه يبحث عن امرأة متدينة، فقال له: وأنا أريدك أن ترى بنت زميلي في العمل «دي بنت مؤدبة وملتزمة وبتصلي ولابسة تحجيبة على شعرها» وأخذ يلح عليه في هذا الأمر، حتى قال لي: إنه عزم على الذهاب لرؤيتها فقط حتى يكفَّ أباه عن الإلحاح، وبخاصة أن أباه هو من يملك دفع ثمن شقة الزواج، ولكن هذا الأخ أبرم العزم الأكيد على أنه لن يتزوج إلا أخت عاملة في الدعوة إلى الله ونشيطة بها، فقال له من يستمعون إليه معي: وماذا ستفعل هناك؟ قال: هاعمل حركات كده تجعلهم يشمئزون مني!!

قلت له: فكيف لو تعلَّقت المسكينةُ بك، يا أخي لا تفعل هذا فإن «بنات الناس ليسوا بلعبة في يدك».

وآخر لما ملَّ البحث عن الزوجة الصالحة وطال به الانتظار، دعته نفسُه إلى أن يذهب إلى غير الملتزمة ليرى وينظر لعله يجد خيراً،

ورجع إلى البيت حائراً ثم طلب رؤيتها مرةً أخرى ثم رآها، ثم وجد أن نفسه لا تطاوعه أن يتزوج بفتاة غير ملتزمة!!

يا خائر التوكل:

يحدث في كثير من الأحيان أن يبدو للأخ المسلم فرصتان للزواج من فتاتين صالحتين، ولدى كل واحدةٍ منهن صفة تعوز الأخرى، أو أنه بعد الانتظار الطويل أصبح «كالفقي لمّا يسعد» جاء إليه فرصتان في وقت واحد رغم طول الانتظار، أو أنه لم يتدرب على أخذ القرار في حياته فيخاف أن يأخذ أي قرار ويندم عليه، أو أن ضعف التوكل عنده موغلٌ في شخصيته مما يحرِّك الهواجس ويهيجها لديه، فيدفعه شيء مما سبق أو جميعه إلى أن يعمل بنظام «الحجز» فيذهب لرؤية إحدى الأخوات، ثم يعرِّج على أخرى ليفارن فيما بينهما، أو للمقارنة مع ثالثة، واحدة من طرف جارٍ له في الحي، وأخرى من طرف زميلٍ كان معه في الجامعة، وثالثة من طرف أخته التي رشحتها له بعد تعرفها على تلك الأخت في المسجد، ويخبر الوسيط في كل حالة أنه يطلب وقتاً للتفكير والاستخارة، وهو لا يزال يدعهن في قرارة نفسه في قائمة الانتظار والمقارنة، حتى إذا ما استقر على إحداهن الرأي أو المزاد ألقى بالجميع من أجل لذته وذاته.

يذكرني ذلك بالصانع أو النقاش الذي خلا من الالتزام، تأتيه شقة وهو مازال في أخرى لم ينته منها، فيستأذن من صاحب الأولى ليوم واحد بحجة أن وراءه أمر مهم يشغله في هذا اليوم، ثم يذهب للشقة الثانية ويسحب فيها بعض «المعجون» على الحوائط، ويضع صبيًّا ساذجاً يعمل بعض المجهود الفرعي حتى لا يدخل الشقة غيره من النقاشين، ثم ما يلبث أن يختفي ويرجع إلى الأولى، ويعتذر لصاحب الشقة الثانية بأي شيء –أن عنده مشاكل مع العائلة، أو أن زوجته مريضة– حتى يرجع إليه بعد زمان، يكون صاحب الشقة قد ذاق فيه ألم الحرمان من القرار في بيته، وألم الشكوك في جدِّية هذا الرجل، وأعظم بسوء المقابلة التي سيقابله بها إذا علم أنه كان يعمل في شقة غيره ولم يخبره أو يستأذنه، وربما أدى به الأمر إلى طرده وصبيه الساذج انتقاماً منه إزاء ذلك الاستخفاف بالخلق وبراحتهم وبالاتفاقات التي وقعت بينهم...

ليس هناك من هو أكثر بؤساً من المرء الذي أصبح اللا قرار هو عادته الوحيدة
وليام جيمس

لا تجعل نفسك كذاك الصانع المخادع، ولا تجعل الوسيط كذاك الصبي الساذج.

لابد أخي الحبيب أن تدخل كل بيت وأنت على ثقة من نفسك أنك

إن وجدت الشروط التي وضعتها في زوجتك موجودة في تلك المرأة فإن الخطوة التالية لذلك مباشرةً هي السعي نحو إبرام عقد الزواج.

وأن توكلك على الله تعالى واستخارتك له، وبذل الجهد للتأكد من صلاحها، ثم ثقتك في إخوانك الذين رشحوها لك سيحمل لك ولا شك أفضل الأقدار.

واحذر أخي الحبيب؛ فلو عرفك الناس بذلك الأمر وظهر لهم - وهو لاشك سيظهر- كما قال عثمان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، وكما قال الحكيم: قد تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت، لكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت.

أقول لك أخي: لو عُرف عنك ذلك فسينفض الناس أيديهم من السعي لمساعدتك، والبحث لك، ولن يرضوا لبنات الناس ما لا يرضونه لبناتهم، والذي كان أحرى بك أنت - يا شقيق البنات - أن تحرص عليه، وأخاف أن تبتلى في النهاية بواحدة تليق بك يا صاحب الألاعيب.

صاحب القائمتين:

* ومن العيب الذي وجدته في بعض الضعفاء أن يضع المسكين - للأسف الشديد - قائمتين، إحداهما معلنة، والأخرى مضمرة لا يعلن عنها لأحد، حتى ذاك وسيط الذي يبحث له عن زوجة،

ويتوسط لدى أهل من يريد رؤيتهن لا يعلم عن تلك القائمة المضمرة شيئاً، يحجزه الضعف أو الخجل أو قسوة المستمع عن البوح بها.

أو قد يحدد قائمتين متشابهتين تماماً، ولكنه يخبر بترتيب للأولويات في واحدة غير ما عقد عليه عزمه في القائمة المضمرة، وهذا ما لا يليق بحال، فإما أن تملك الشجاعة لتدلي بما تريده من مطالب وأولويات، وتحسن اختيار من تطلب منه أن يتفهم شروطك، وإما أن تبحث عن غيره ممن يستطيع احتواء ذلك.

* وقد يعرف الخاطب أن أمه أو أباه لا يقبلان بحال أن يتزوج ابنهما من طائفة معينة، أو بلد معين، وهو يعرف أيضاً من نفسه أنه لا يستطيع المجابهة أمام الإصرار الذي سيظهر، فلا داعي للتجارب في بنات الناس، واعلم حدود قدرتك وتحرك خلالها، فبعض النوبيين في مصر مثلا لا يزوج ابنه إلا من النوبية بل ومن نفس قبيلته، فإما أن تحسم الأمر مع أهلك قبل الذهاب وإما أن تعرض عن معركةٍ تعلم يقيناً أنك خاسرٌ فيها.

* * *

قبل الرؤية الشرعية

هيا بنا أخي الحبيب، بعد ذلك الزاد المعرفي الذي نَضَجَت به فكرة الزواج عندك، نتحرك في رحلتنا التي سنستلهم فيها من تلك الأفكار كلما أعيتنا القرارات، وتوهجت فوقنا حرارة طول هذا الطريق.

وعليك بطريق اقتنعت بصحته ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك وطريق أصحاب الهوى، ولا يغرنك كثرة الهالكين.

حاذر منهن عند الاختيار:

يقول الغزالي في إحيائه: «روي أن بلالاً وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب، فخطبا إليهم، فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله. فقالوا: بل تزوجان والحمد لله. فقال صهيب: لو ذكرت شواهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ، فقال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق.

والغرور [١] يقع في الجمال والخُلق جميعاً، فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر، وفي الخُلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصيرٌ صادق خبير بالظاهر والباطن، ولا يميل إليها فيفرط في الثناء، ولا يحسدها فيقصِّر، فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط، وقلَّ من يصدق فيه ويقتصد، بل الخداع والإغراء أغلب، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته»[٢].

وهذا الأمر مشهور بين النساء، إذ كثيراً ما يغلب عليهن الخوف من عنوسة صاحبتها، ويغلب عليها طبيعة الأمومة، فتشعر بآلام أمِّ البنات فتريد أن تسري عنها، ولكن ذلك فيما نعلم لا يبيح لها مجال الإخلال في الشهادة بصفات المخطوبة أو المبالغة فيها.

لذا فعلى الأخ المسلم أن يعلم أن الأصل في وصف النساء لصديقاتهن وأخواتهن المبالغة والتقليل من العيوب والنقائص، وأنها تأخذ في التركيز على صفة واحدة لتصرف بصرك عن باقي المثالب، وقد يتخلق بعض الرجال بذلك، وخاصة إذا أزّته زوجته إلى ذلك

---

(١) يقصد بالغرور هنا، أن يخال الشيء موجوداً وهو غير موجود.

(٢) إحياء علوم الدين، المجلد الثاني، باب فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد، دار الكتب العلمية بيروت، ص٤٤.

أزّاً وكان ممن تستوعب شخصيته ذلك.

وبخاصة إذا كانت تلك الزوجة في موضع المرشدة لها وتستشعر أنها المنفذ لها إلى زواجها من أخ مسلم، ويدفعها إلى ذلك أيضاً خوفها من أن يمضي بها قطار العمر في انتظار ذي الدين والخُلق، فتمل وتيأس وتتخذ قرار الاستسلام للزواج من أول من يأتي وتكتمل فيه الصفات الدنيا للزوج، ويمضي بها بعيداً عن المكان وعن السبيل القويم.

وإليك تلك القصة الغريبة:

كان هناك أحد الخاطبين يبحث عن زوجة، وقد أخبر صديقاً له أنه يريد صفات خُلقية أهمها الحياء البالغ، وصفات شكلية معينة في لون البشرة وتوسط القوام، فأخبره بعد فترة أنه قد وجد له بغيته، وأن امرأته ترشحها له بقوة.

قال له: وكيف جاءت معرفة امرأتك بها.

قال: إنها أخت زميلتها في معهد القراءات، وهي -أي زوجته- تمدح فيها كثيراً.

قال له: هل أنت متأكد، علشان ما ندخلش بيوت الناس ونخرج بالساهل.

قال: عيب، أنت بتتكلم في إيه.

فشجعته تلك التأكيدات على الذهاب بعد ترتيب الزيارة، فذهب المسكين ووجد أن شيئاً مما طلبه غير موجود، والغريب أنها لم تسقط عينيها من عينيه طول اللقاء حتى خجل هو ونظر في الأرض، فرجع إليه بعد الزيارة، وقال له: سامحك الله أنت وزوجتك أأنت متأكد أن زوجتك قد رأتها من قبل. قال: طبعاً، وهل من الممكن أن تشكر فيها هكذا دون رؤية.

فقال له: أرجو يا أخي أن تذهب إليها وتتأكد من هذا الأمر.

فسألها فإذا هي لم تر تلك الأخت مطلقاً، ولكنها قاستها على أختها المتزوجة التي تزاملها في المعهد، والتي تكتمل بها كل الصفات المطلوبة، وكان للأسف قياساً مع الفارق.

وأنشد المسكين مع دعبل الخزاعي:

أعوذُ باللهِ من ليل يقرّبني … إلى مضاجعة كالدلك بالمَسَدِ
لقد لَمستُ معراها فما وقعتْ … مما لامَسَت يدي إلا على وتدِ
في كلّ عضوٍ لها قرنٌ تصكُّ به … جَنبَ الضجيع فيُضحي واهيَ الجسدِ

وقد يشذ عن ذلك القليل من النساء، فتأتي بالرأي دون إفراط أو تفريط، ولكن كان لزاماً أن تأخذ حذرك من ترشيحاتهن مع النظر إلى من تُرشح لك دون قضاءٍ برأيهن.

كذلك فإنه في الجهة المقابلة، لا تتأثر برأي أمك في شكل زوجتك وجمالها، فخذ رأي أمك في خُلق زوجتك وسمتها، ودع أمر الجمال إلى النسبية التي ربما تريك من تنفر عنها أمك ملكة جمال النصف الشرقي من هذا العالم (١).

---

(١) ورد بموقع إسلام أون لاين هذه الاستشارة المهمة تحت عنوان: اختيار الزوجة: ما حَكَّ جلدك مثل ظفرك. مشكلتي بكل صراحة هي الزواج؛ فأنا شاب ولله الحمد ملتزم في ديني، وأسأل الله العظيم أن يوفقني وإياكم إلى طاعته، والمشكلة هي أنني نويت الزواج منذ حوالي سنة، وتكلمت مع أهلي في هذا الموضوع، وكان طلبي الوحيد في البداية أن تكون الزوجة ملتزمة وجميلة، وللأسف فإن أهلي لم يتعاونوا معي في البحث عن الزوجة، وكنت أنا بنفسي أبحث عن الزوجة، وكلما وجدت واحدة وأتكلم مع أهلي عنها يخترعون لي عيباً فيها؛ حتى تعبت، وأنا أبحث عن واحدة ملتزمة؛ فرجعت وطلبت من أهلي أن تكون على الأقل محافظة على الصلوات، وأنا بكل صراحة لا أستطيع الصبر أكثر وأخاف على نفسي من الوقوع في المعاصي، وإنكم تعلمون الفتن في هذا الزمان.

باختصار، إن والدتي تريد واحدة على مزاجها، وأنا تركت لها الموضوع لكي تبحث عن التي تريدها، ولكن والدتي الله يعطيها العافية والصحة لا تتحرك وتبحث، وأنا كل يوم أحس بأنني أحتاج إلى الزواج (أكثر من اليوم السابق) وسامحوني على الإطالة وشكراً لكم.

اسم الخبير: د. عمرو أبو خليل.

ونحن في المرحلة الابتدائية كانوا يدرسون لنا قصة طريفة اسمها العصفورة الحكيمة .. كانت تحكي عن تلك العصفورة التي كانت تعيش أعلى شجرة كبيرة هي وأطفالها الصغار، وفي يوم عادت فرأت أطفالها الصغار منزعجين؛ لأنهم=

= سمعوا الفلاح صاحب الأرض والشجرة يتفق مع أبنائه على قطع الشجرة، ويطلب منهم الذهاب إلى جارهم للقدوم لمساعدتهم في قطع الشجرة، فتهزّ العصفورة رأسها مطمئنة أطفالها وتستمر حياتها عادية والأطفال لا يفهمون شيئاً، وتمر الأيام والشجرة لا تُقطع والحوار يدور بين الفلاح وأبنائه، وهو يرسلهم إلى الجيران واحداً بعد الآخر طلباً لمساعدتهم والعصفورة مطمئنة ولا تتخذ أي إجراء، حتى جاء اليوم الذي قال فيه الفلاح لأولاده: غداً سنحضر نحن بأنفسنا لنقطع الشجرة ولا نطلب المساعدة من أحد.

عندها انزعجت العصفورة الأم، وطلبت من صغارها الاستعداد للرحيل، وهنا سألها أطفالها: لماذا هذه المرة إنه نفس الحديث لم يتغير ولم يحدث شيء في المرات السابقة؟! فأخبرتهم العصفورة الحكيمة أنه في هذه المرة اختلف الأمر؛ لأن الفلاح اعتمد على نفسه فأدركت أنه أصبح جادًّا وسيقوم بقطع الشجرة فعلا، ولكنه عندما كان يعتمد على الآخرين أدركت أنه لن يفعل شيئاً ... أظنك سمعت هذه القصة ودرستها مثلنا أيضا ... فهل فهمت الدرس؟!

في مسألة اختيار مصيرية مثل الزواج يحتاج الأمر منك إلى جدية وعزم وتصميم لن يتوافر إلا لك ... إن كثيراً من الأمهات يؤدي ارتباطهن العاطفي بأبنائهن إلى عدم رغبتهن في ارتباط أبنائهن، ويظهر ذلك بصورة مباشرة وغير مباشرة... ويبررن هذه الرغبة بأن الوقت ما زال مبكراً على زواج أبنائهن... أو أنهن لم يجدن الفتاة التي تستحق ابنهن؛ لأن ابنهن في نظرهن يستحق كاملة الأوصاف التي لم تُولد بعد ولن توجد أبداً.

وعليه فإن ما يحدث من أمك هو تفاعل عاطفي لرغبتها في مكوثك معها وعدم استئثار أخرى بك، حتى لو كانت زوجتك، وهي تارة ترفض من تقدمهن من اختيارك، وتارة تمتنع عن اختيار من تراها مناسبة، فإذا علمت ذلك فإن المبادرة يجب أن تمتلكها أنت ولا تنتظر أحداً أن يقوم بما يجب أن تقوم به أنت،=

= ونكاد نظن أن جزءاً من المشكلة يكمن في عدم حسم اختياراتك أنت، فتارة تريدها ملتزمة تماماً، وتارة تريدها محافظة على الصلوات فقط، وتارة تريدها على مزاج والدتك... وهذا التذبذب لا يصلح في اختيار الزوجة ومواصفاتها، ونظنه السبب الحقيقي وراء تأخرك حتى الآن في الحصول على الزوجة... إنك لو وضعت معايير ثابتة لاختيار زوجتك ما أثر فيك كلام والدتك، وإخراجها للعيوب في اختياراتك، ولكن يبدو أن كلامها كان يجد هوى في نفسك، وأثراً وتقول لنفسك ربما يكون كلام أمي صحيحاً، وهي تريد مصلحتي! وطبعاً تتراجع ليس فقط لأن «والدتك رفضت» ولكنك أيضا غير واضح فيما تطلبه وتريده، وكما أوضحناه في إجابات سابقة متكررة، فإن الزواج طائر ذو جناحين... جناح العاطفة وجناح العقل، وجناح العاطفة أدناه القبول وعدم الشعور بالنفور، وأعلاه الإحساس بالميل... أما بالنسبة لجناح العقل فإنه يشمل التكافؤ الاجتماعي والاقتصادي والعملي والنفسي والعلمي والجيني، بل وحتى الشكلي بمعنى الشكل الذي تفضله من حيث اللون والطول والنحافة وغيرها... وتضع لنفسك أولويات في هذه الاختيارات بمعنى أن تعلم أنك لن تحصل على كل ما تريده من هذه الصفات؛ ولذلك فعليك أن تحدد أنت ولا أحد غيرك ما هو الذي يأخذ في الترتيب رقم واحد ثم اثنين وهكذا، حتى تصل إلى آخر القائمة، وما هو الشيء الذي يمكن أن تقبل فيه التنازل قليلاً، وما هي درجة التنازل؟!

وهكذا ثم تنظر نظرة شاملة إلى اختياراتك، وتحدد النسبة العامة التي تقبلها بصورة متكاملة في صفات من تريد أن ترتبط بها أي تعود بعد التفصيل إلى الإجمال... إذا فعلت ذلك حددت ما تريد، ولتعلم أن من تختارها سيكون بها عيوب، ولكن العيوب التي اخترتها، وتستطيع التعايش معها.. الخلاصة أنك إذا حددت ما تريد بالضبط فستصل إليه، وتستطيع أن تقنع به أهلك بحكمة وهدوء، ويساعدك استقلالك المادي عنهم.. فلا تتعجل ولا تتأخر. وأنت المتردد، وأنت =

ركز فيما يبقى:

من الناس من يرجع بعد تلك الرؤية وقد علق بخلده ذلك الوجه المشرق المرمري، وتلك النغزات بالوجنات واليد، وتلك الشفاة المشربة بالوردي من اللون، وكيف تنثني تلك الشفاة في حركات ساحرة أثناء الكلام، وكيف حافظ على تلك القطرات من الصفات الظاهرة ألا يسقط منها شيء... ويذهل الشارد المسكين عن تقييم تلك الروح التي ستلاصقه، ولا يلتفت إلى ردود الأفعال، ولا يهتم بطريقة الرد على الأسئلة، وما هو مستوى الفكر من العمق أو الضحالة، ومقدار الاعتزاز بالذات من انهياره أو انتفاخه أو توسطه، ومدى الحب للدين وأهله، والشعور بنعمة الإسلام، وهذه النعمة والاستشعار لها هو ما ستتحمل من أجله صعاب الزواج قاطبة من الطاعة والحمل والبيت دون ضجر أو تململ.

عرض الرجل ابنته على الصالحين:

لا يرتبك قلبك إذا عرض عليك أحد الآباء ابنته لتتزوجها،

= الذي تؤخر نفسك وليست والدتك، فاحزم أمورك وخذها بجدية، وسيصلنا منك قريباً الدعوة إلى حفل الزفاف، ولا تنس صلاة الاستخارة والدعاء، وقد تعاونك على الاختيار عمة أو خالة أو زوجة صديق ذات معارف واسعة.

كل ما نرجوه ألا يدفعك ضغط الفتن إلى زواج غير مناسب، ولا يقعدك تباطؤ الأهل عن السعي بنفسك لإتمام ما تحب على نحو حكيم مناسب).

وبخاصة إذا شعرتَ أن الدافع لأبيها إلى فعل ذلك هو حرصه على أن يزوج ابنته من ذي دين وخلق، وأنه قد وضع أمانته في يد من يحافظ عليها ويرعاها، وعلى الخاطب أن ينظر إلى تلك الزيجة وكأن هذا الأب هو رجل وسيط يرشح له من يراها كفؤاً له، وبالتالي فليشرع في السؤال والنظر إليها والتحري عن دينها، فليس دائماً يكون الدافع ما ذكرنا، فقد يكون الدافع إلى ما فعله معك هو نفس الدافع الذي دفعه إلى فعل هذا مع عشرات من أقرانك في أوقات متقاربة، ألا وهو زهد الخُطاب فيها، أو استعجالٍ في تزويجها أيًّا ما كان خلقه ودينه أو خلقها ودينها.

أما إذا كان الدافع الأول فأنعم بهذا الزواج الذي ستجد فيه إن شاء الله:

* الفرح الشديد بك وبقدومك السعيد.
* التيسير في المطالب المادية والتخفيف منها.
* الحمى الصالح الذي ربى ابنته، وأبى إلا أن يزوجها من تقي.
* التواضع وقلة العنجهية.
* انتصار المبادئ في كل خطوة.

- فالله عز وجل في كتابه الكريم، يقص علينا قصة موسى بن

عمران وشعيب عليهما السلام حين عرض شعيب عليه السلام ابنته على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ليتزوجها؛ لأن شعيب عليه الصلاة والسلام رأي أن موسى عليه السلام صالح وهو لم يعرفه.

– وهذا رسولنا ﷺ يختار لابنته فاطمة رضي الله عنها صاحب الدين والشجاعة والإيمان "علي بن أبي طالب" ليكون زوجا لها فكان هذا الزواج أسعد زواج عرفه المسلمون.

– وكان بمدينة مرو رجل يقال له: نوح بن مريم وكان رئيس البلد وقاضيها وذا نعمةٍ وجاه موفقا. وكانت له بنت ذات جمال وبهاء وكمال، فخطبها منه جماعة من الأكابر والرؤساء وأصحاب المال والثراء، فلم ينعم بها لأحد منهم. وحار في أمرها وكان له عبد هندي أسود اسمه مبارك، وكان له أشجار وبساتين فقال لذلك العبد: اذهب إلى البساتين واحفظ ثمرها. فمضى إليها وأقام بها شهرين ثم جاء سيده يلقي نظرة على بساتينه وجلس تحت شجرة باسقة يأخذ الراحة لنفسه ويمعن طرفه في هذه الثمار اليانعة، التفت السيد إلى مملوكه وقال له: يا مبارك ائتني بقطف من العنب فأسرع مبارك وجاءه بقطف من العنب، وتناول السيد حبة منه فإذا هو حامض فقال: يا مبارك إنك أتيتني بقطف حامض فائتني بغير هذا، وأسرع مبارك ثانية فجاء بقطف وناوله إياه، فأكل السيد منه فوجده

حامضا. وهنا كاد الغضب يستولي على السيد لولا ما يتحلى به من الحلم والأناة، فكتم غضبه، واتجه إلى مبارك قائلا: لماذا لم تأتني بقطف حلو والبستان مملوء من جميع الأنواع؟ ويجيب مبارك ببراءة وصدق قائلا: يا سيدي، أنا لا أعرف الحلو فيه من الحامض. واستغرب السيد هذا القول، عامل البستان لا يفرق الحلو من الحامض، ثم صارح مباركاً قائلاً: لك شهران في البستان ولا تعرف فيه الحلو من الحامض. وانبرى مبارك يؤكد لسيده ويقسم له أنه لا يعرف الحلو من الحامض؛ لأنه خلال هذه المدة لم يذق من البستان ثمرة واحدة، وزاد استغراب السيد من كلامه هذا قائلا: ولم لا تأكل منه؟ وما الذي منعك من تناول هذه الثمار التي بين يديك؟ وعاد مبارك يقول ببساطة: إنك أمرتني بحفظه ولم تسمح لي بالأكل منه فأنا أنفذ ما أمرتني به وما كنت لأخون في مالك وأخالف أمرك، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فعجب سيده من ورعه وأمانته وصدقه ودينه، وأطرق السيد قليلاً ودارت في ذاكرته أشياء كثيرة واهتدى إلى أمر قرره في نفسه وشرع يعمل على إنفاذه: إن ابنته الحلوة الجميلة التي ضن بها على الرؤساء وأصحاب الثراء لهي خير هدية يقدمها إلى هذا الإنسان الأمين الطيب، وإنه لجدير بأن يحظى بهذه الفتاة الرائعة لقاء ما يتمتع به من خلق كريم وأمانة وصدق، ولكن هل يجد عقبات في إتمام هذا المشروع الأخير؟ قد يكون ذلك، ولكنه يستعين بالله تعالى

على تذليل العقبات - إن وجدت - ويلتفت السيد إلى مبارك ويقول: يا مبارك إني أستشيرك في أمر فأشر علي بما ترى فإني رأيتك ذا عقل وروية فقال مبارك: رحماك يا سيدي أنا عبد مملوك لك، فمرني بما تريد أنفذ إرادتك حسب استطاعتي، قال السيد: نعم، إن لي بنتا هي آية في الجمال والكمال وقد خطبها كثير من الرؤساء والزعماء وأصحاب الجاه والثروة وقد حرت في أمر تزويجها ولمن أعطيها فأشر علي في هذا الأمر. قال مبارك: يا سيدي، كان الناس في الجاهلية يرغبون في الأصل والنسب والحسب، واليهود والنصارى يرغبون في الحسن والجمال، وفي زمن رسول الله ﷺ يرغبون في الدين والتقوى وفي زماننا يرغبون في المال والجاه، فاختر لنفسك ولبنتك من هذه الأشياء ما شئت. كان السيد يصغي إلى مبارك فوجد في كلامه حكمة يعجز عنها الفصحاء والحكماء. فازداد له حبًّا وبه تعلقا، فقال: يا مبارك، إني راغب في الدين والتقوى، ثم أردف يقول: وإني وجدتك ذا دين وأمانة وتقوى وإني عزمت على أن أزوجك بها، قال مبارك: يا سيدي، أنا عبد رقيق أسود وقد اشتريتني بمالك؛ فكيف تزوجني بابنتك وكيف ترضى ابنتك بي؟!!

وكانت هذه هي العقبة التي جالت في فكره ولكنه كان يعهد في ابنته الصلاح والتقوى أيضاً إلى جانب جمالها، لذا كان أمله قويًّا في استجابة ابنته لرغبته، ورضاها في الزواج ممن ارتضاه لها، واتجه السيد إلى مبارك قائلا: اتبعني... ودخلا بيت السيد، وبدون مقدمة ولا توسل قال السيد لابنته: يا ابنتي اسمعي: إني رأيت هذا الغلام

تقيًّا أمينا صالحا وإني رغبت في أن أزوجك منه، فما رأيك؟! فأجابت البنت على الفور: أنا ابنتك، وأمري إليك، لا أعصيك أبداً ولا أخالفك، وأنا أرضى بما رضيته لي... وكذلك وافقت الأم على ذلك بكل سرور واطمئنان، وتم الزواج، وأعطاها السيد مالاً كثيراً ليكون عونًا لهما في حياتهما، وعاشا سعيدين موفقين، ولم تمض فترة على هذا الزواج حتى رزقا بمولود سمياه عبد الله، واشتهر عبدالله بن مبارك المعروف عند العلماء الصالحين؛ - رضي الله عنه - ونفعنا به. وتلك ثمرة الأمانة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة)[١].

الشقة:

من أكبر المشكلات التي تواجه المتزوج هي مسألة الشقة، وإنها لتقع عند الناس بمكان كبير لدى العزم على الزواج، والأغلب أن أهل المخطوبة لن يقبلوا تقدمك بغير شقة، أو على الأقل لن يتم الكتاب إلا بوجودها.

وقد يكون اشتراط أهل المخطوبة للشقة عند التقدم للخطبة ليس فقط من أجل تأمين سير الزواج، ومعرفة تحديد مبدئي لوقت البناء، ولكن أيضاً حتى يطمئن الأهل إلى كفاءة المتقدم المالية، ومعيار جديته المالية والحياتية، ورحم الله ذلك الرجل الصالح الذي

(١) http://saaid.net/mktarat/alzawaj/104.htm

قال لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [القصص].

ولمشكلة الشقة حلول عدة اقترحها الدعاة عليك منها:

١- الإيجار الجديد إذا كانوا على معرفة جيدة بك وبخلقك أو كانوا من الأقارب.

٢- السكن مع الأهل ما سمحت الظروف بذلك.

٣- بدء الحياة بالسكنى في الأماكن النائية، وصدقني أيها المخلص ستجد هناك إخوة مثل من تفارقهم.

٤- الاشتراك في شقة (أو ما يسمى بالمشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك)، بمعنى أن تدفع أنت نصف ثمن الشقة ويدفع أخوك مثلا النصف الآخر ومقابل ذلك تدفع له شهرياً ما يساوي نصف إيجار شقة إيجار جديد في نفس المنطقة، بمعنى آخر؛ مثلا إذا كان ثمن الشقة عشرون ألف جنيه ومثل هذه الشقة لو أجرت بنظام الإيجار الجديد لكان المقابل الشهري هو مائتان وخمسون جنيهاً، وليس معك سوى عشرة آلاف، فيساهم أخوك بالمبلغ الباقي وهو عشرة آلاف جنيه، وتعطيه مائة وخمسة وعشرون جنيها كل شهر، وهو إيجار نصيبه من الشقة لحين أن يتجمع معك العشرة آلاف الباقية، فتردها إليه.

ولا تصلح حياة بنيت أول ما بنيت على الربا أن تكون سبيلاً إلى طاعة الله ورضوانه، فلا تحاول أن تقحم نفسك في شقق تكتنفها القروض الربوية من بنوك تدعي أنها للتعمير، وليس كالربا موجبٌ لهلاك الأمم وخراب البيوت.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة].

وينصح علماءُ الحنفية المقبلَ على الزواج: «أن لا يحجم عن الزواج لعدم وجود المهر بل يندب له الاستدانة إذا أمكنه لأن المتزوج الذي يريد العفاف يكون الله معيناً له كما ورد في الحديث»[١].

والشيء بالشيء يذكر، فإن هناك من الناس من يحاول أن يضع أهله أمام الأمر الواقع في أمر شقةٍ زائدةٍ لديهم، فيخبر أهل العروسة أن لديه شقة — يقصد تلك الزائدة — ويستدل على ملكيته لها من كلامٍ هلامي غير قاطع أدلى به أحد الأبوين في ساعة صفاء، فيؤكد لأهل المخطوبة أنها له دون إخوته، ولا يتأكد من أهله قبل الذهاب للاتفاق مع أهل الزوجة، ويريد أن يتكتم على الأمر حتى يضع

(١) الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، الجزء الرابع، كتاب النكاح.

أهله في خط اللارجعة، فتكون البلبلة بعد ذلك، أو يتحول بيت الخاطب إلى نزاعات وصراعات بينه وبين أبيه وأمه من ناحية، وبين بقية إخوته وأبيهم من ناحية، وبين الخاطب وأهل خطيبته والذين يريدون منه الوفاء بما تعهد به، من ناحية ثالثة، وقد حدث ذلك واقعيًّا لأحد أصدقائي المتذاكين.

ولا تحاول أن تبالغ في الشقة فتستهلك ما معك ثم تغرق في ديون من أجل تجهيزها، وتبدأ حياتك بضغوط تستهلكك، وتذهب رونق الأشهر الأولى للزواج في ضغوط الأقساط أو الجمعيات الثقيلة أو الديون، فلا بأس أن يستمر معك أحد أقساط الجمعيات، ولكن على أن يبقى لك بعد أداء كل التزاماتك ونفقاتك ونفقات بيتك ما يقارب ٢٥٪ من مرتبك، جمّل غرفة واحدة - إن أردت - وهي غرفة استقبال الضيوف، ولملم شأنك فيما تبقى، فبعد شهر واحد ستصبح غرفة واحدة هي مآلك في هذا البيت.

ماذا لو كانت تعمل :

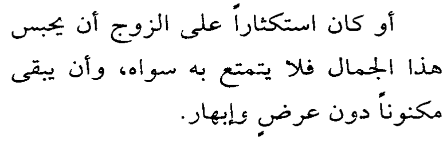
ترغب كثير من الفتيات في العمل بعد التخرج، ولسنا هنا بصدد الخوض في الحكم الشرعي لتلك المسألة المتشعبة، ولكن ما يعنينا هنا أنه على الخاطب الذي يرجو السعادة بزواجه أن يسعى إلى معرفة الدوافع وراء تلك الرغبة من مخطوبته:

فإن كانت تلك الرغبة في العمل تنبع من محاولة مساعدة الزوج

على بناء الحياة الأسرية الكريمة، أو الارتقاء بمستوى الأسرة المترتب على انتظام النواحي المادية، مع الإقرار بأن كل ذلك يتلو الزوج والبيت والأطفال ورعاية الأسرة في المنزلة والأولوية، فإن ذلك مؤشر خير سواء كان بعد ذلك الاستمرار في العمل بعد الاتفاق على طريقته وضوابطه، أو القرار في البيت لقدرة الزوج على تحقيق الكفاءة المالية للأسرة.

أما إذا كان العمل من أجل تحقيق الثروة والطموحات المادية، أو الندية مع الزوج والاستقلال عنه، أو كان رغبة في التنافس الدنيوي والمقارنات المادية مع الأهل والقرينات، وهي الدوافع التي تصير سوطاً يجلد الطرفين على حساب كيان الأسرة بأكمله.

أو كان ذلك خوفاً مرضيًّا من المستقبل، ضاعت وذابت فيه معاني التوكل على الله تعالى.



أو كان استكثاراً على الزوج أن يحبس هذا الجمال فلا يتمتع به سواه، وأن يبقى مكنوناً دون عرض وإبهار.

إذا كان شيئاً مما سبق هو الدافع للعمل فلابد من إعادة النظر، إذ لا تسلم مثل تلك الشخصيات من آفاتٍ تحيل الحياة جحيماً والزواج سجناً .. والسلام

لا تُحقِّر من نفسك:

قابلت أناساً في حياتي، قد رثيت لهم بحق، إذ أنه يذهب للزواج، وهو يضع يده على قلبه، ومشاعر الخوف والقلق بادية عليه بل أحياناً تستبدُّ به، يخشى أن يُرد ولا ترضى به تلك الفتاة، يستشعر بمعنى صريح (الشعور بالنقص)، ويتمكن منه هذا الشعور حتى يسأل: هل يا ترى سأجد من توافق عليّ ؟ وتحدث الطامة عندما يكون الرفض في البداية من طرف من تقدم لها، فينزل عليه الأمر نزول الصاعقة، ويجرح البطحة التي على رأسه بجرح غائر، فلذا لابد أن تسمع لي أخي الحبيب:

إنك بحق عظيم في هذه الدنيا حق عظيم، أنت النور الباقي في هذه الدنيا، أنت من يحمل في قلبه نور الكتاب، من يفكر سواك في المبادئ والقيم في مجتمعات المادة والبهيمية ؟ من يفكر سواك في السبيل الذي يكوّن به بيتاً يرضى عنه الله ؟ مَن ترك الغانيات والسافرات من أجل ذات الستر والغطاء سواك، من الذي يحبه الله ودليل حبه أن أعطاه هذا الدين الذي لا يعطيه الله إلا لمن يحب.

إن فخامة الشكل، وروعة المظهر - الذي يخبئ تحته الصفاقة والسطحية- لن تخدع الصالحات، وأنت الذي رفَضَت من أجلك كل الناس، وأجَّلَت زواجها حتى تأتي لتستنقذها من نخزات الأهل لها ورميها بالاختلال.

لا تقلد الجهلاء في نظرتهم وميزانهم، واسمع إلى ما رواه البخاري عن سهل قال: مرّ رجل على النبي ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا ؟» قالوا: حريّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُسمع. ثم سكن، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا ؟» قالوا: حريّ إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يُسمع. قال ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». وظاهر هذا النص أن الفقير كان أحسن ديناً وخُلقاً من الأول.

يقول «باكون»: إن احترام المرء لنفسه هو بعد الدين حجر الزاوية لكل فضيلة.

ويقول «بوفي»: إن عدم الثقة بالنفس هو السبب في أكثر ما يصيبنا من الفشل، فإن يقين المرء بقوته قوة له، والذين لا ثقة لهم بأنفسهم أو بقواهم هم أضعف الناس مهما كانوا أقوياء»[1].

أخي، إن الحب شيء كبير في حياة الرجل، لكنه وبصدق كل حياة المرأة، وانظر إليها يصف حالها الشاعر وهي تنتظرك وتحدث نفسها بك قائلة:

ربما يأتي إذا صليتُ في جنح المساء

(١) سبيلك إلى النجاح، أريزون سويت مارتن، دار الكتاب العربي ص ١٦٨.

ربمـــا يـــأتي إذا صـــعّدتُ لله الـــدعاء
ربمـــا يـــأتي إذا رجرجـــت في عـــيني دمعـــة
أو إذا أشـــعلت في ليـــل الحـــزانى ضـــوء شمعـــة
آه .. كـــم يـــشتاق بـــابي نقـــرات مـــن يديـــه
وجـــداري الـــساهم الظمـــآن كـــم يهفـــو إليـــه
خلـــف بـــابي ألـــف حلـــمٍ يخنـــق الـــوهم صـــداها
ألـــف غـــصن يحـــرق الجـــدب بـــراعيم صـــباها
فارسي الموعـــود يـــا حلمـــي ويـــا فجـــري الظمـــي
أذرعـــي تـــدعوك مـــن خلـــف الـــضباب المعـــتمِ
كـــم علـــى صـــدر ظنـــوني البـــيض نقلـــت خُطايـــا
كـــم ذرعـــت الغيـــب والمجهـــول بحثـــا عـــن فتايـــا
كـــم تـــراءي لي وكـــم قبلـــتُ في الـــصمت جبينـــه
وحنـــيني كـــم مـــشى في التيـــه يـــستجدي حنينـــه
الفـــراغ الجهـــم مـــن حـــولي وأحلامـــي الـــشهيدة
وبقايـــا وردة في حجـــرتي ماتـــت وحيـــدة

غـــير أني خلـــف قـــضباني ســـأدعوه طـــويلا

ربمـــا قابلـــتُ فيـــه فارســـاً شـــهماً نبـــيلا

ربمـــا ينـــسلُّ مـــن خلـــف مجاهيـــل المـــدى

ليـــدق البـــاب دقـــاتٍ رقيقـــات الـــصدى!!

* * *

الفصل الثاني

عند الذهاب

فإذا عزمت فتوكل على الله

بدأت انشغالاتي بعلاج إصابات اللاعبين الرياضيين في أكثر من فريق رياضي مع متاعب مهنتي الجديدة كمعالج إصابات تثقل علي، إلى درجة جعلتني أشعر بشيء من الوحدة والضغط النفسي، وفي هذا التوقيت تعرفت إلى «دايان»، وكانت تدرس معي في نفس الجامعة، كانت صفاتها على النقيض مني تماماً، فهي هادئة ومتزنة وأنا عنيف وعصبي، وأذكر أنني تزوجتها بطريقتي الفظة، فعندما طلبت يدها ووافقت، قلت لها: إني مشغول للغاية، اذهبي فاشتري خاتماً من الماس، على أن يكون في حدود المعقول، وقولي لي بكم اشتريتيه لأسدد ثمنه لك، ولا أعلم كيف تحملت هذه الفظاظة مني، ولكنها بالفعل اشترت الخاتم، ولم تلمني على شيء، ومنذ ذلك الحين أصبحت دايان ركناً أساسيًّا في حياتي، ولا أذكر أنها تذمرت يوماً من أي شيء، فقد كنت معها أشعر بأن الدنيا هادئة، وأن بإمكاني أن أحقق كل ما أريد.

كنت أعود إلى البيت أذرع الغرفة جيئة وذهاباً بتوتر كوحش محبوس، وأفكر في العمل وأهذي بعبارات عنيفة، ولكنها كانت تتحملني بهدوئها فهي باردة كالثلج الذي أعالج به كدمات الرياضيين المصابين.

دايان تنصت وتنصت لكل ما أقول، حتى إنها تفهم كلماتي وتعلم ما أريد أكثر مما أعلمه أنا، فهي تستطيع أن تسمعني كما لا أستطيع أن أسمع نفسي، كانت تفكر معي بصوت رقيق يجعلني أتأمل الحكمة الكامنة في كلماتها، ولولاها ما ذقت طعم الحياة الأسرية، فقد علمتني كيف أجلس في هدوء، وأطرح عن ذهني كل الأفكار ولا أفعل شيئاً سوى انتظار كوب الشاي الرائع الذي تصنعه لي.

كانت هذه اللحظات الحالمة تعيد شحن بطاريتي النفسية والذهنية التي استنفدت طوال الأسبوع.

أن تجد شخصا يقبلك على علاّتك هكذا دون أن يحكم عليك، وأن تشعر أنك لست مضطراً لأن تخفي أي شيء عن ذاتك أمام هذا الشخص، ذلك أروع شعور في الوجود، وهو مصدر الاستقرار النفسي الحقيقي.

باسكال كروتشي، مؤسس الزمالة لطب إصابات الملاعب

الزيارة

٣٤ وصية عند الدخول إلى البيوت

١ - لن تعرف كيف تختار زوجتك قبل أن تعرف نفسك جيداً؛ عيوب نفسك ومميزاتها، ما تميل إليه وما تقرّ به، ما هو ما تتلاءم معه، وما هو ما تنفر منه.

هل لديك أحلام بسيطة لا تصلح لها ذوات الطموح وطالبات العوالي، أم أنك طموح لا ترضى بالفاترات والمتعلقات بحياة السائمة؟

هل أنت هادئ تبغي الوديعة الساكنة، أم يستبد بك النشاط والحركة وتمل الخاملة المتثاقلة؟

إن الفاشلين يقسّمون إلى قسمين: قسم يفكر دون تنفيذ، وقسم ينفذ دون تفكير

هل لديك نصيب من الشعور بالنقص فتقيه امرأة ذات رعونة تظن في كلماتها الساذجة أنها ترميك بالدون، أو تقي نفسك الهزيلة التعلق بمن تعلوك مؤهلا أو مالاً فتحيل حياتها سجناً عالي الأسوار؟

وإذا علمت من نفسك أنك سريع الغضب، شديد العصبية، فلا تقبِل إلا على الصبورة، طويلة البال، وإن كان الأخ مشتت الحال غير متيقظ لشئونه، مهلهل الأمور، فلابد أن يكون من شرطه فيمن تكمّله: المنتظمة، المدبّرة، اليقظة، فبزواجها منه -وذلك عن تجارب عديدة- سيشعر أن الله أصلح بتلك المرأة أمره، ورتب بها شئونه، ولمّ بها شعثه، فزاد لها ذلك الزوج حبًّا وبها تعلقاً.

فالصلاح يا أخي الحبيب أو التوافق نوعان «صلاح عام» وهو ما نطلبه في دين المرأة وتقواها، وصلاح خاص نسبي وهو ما نطلبه بالنسبة لك وما يوافقك، فليس كل متدينة تصلح لكل متدين.

ففي الحديث أن فاطمة بنت قيس، جاءت النبي ﷺ فذكرت له أنا أبا جهم بن حُذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها، فقال: «أما أبو جهم، فرجل لا يرفع عصاه عن النساء. وأما معاوية فصعلوك لا مال له. ولكن انكحي أسامة»[١].

مع أن الصحابة كلهم عدول أخيار.

- وتحديد تلك الصفات يُبنى على التشابه والتكميل؛ التشابه في الصفات التي يحترمها الرجل في ذاته ويحبها أو يميل إليها، ويصعب عليه التخلي عنها في حينه. والتكميل لصفات نقصه التي يبغضها في

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، الجزء العاشر، كتاب الطّلاق، باب المطلّقة ثلاثاً لا نفقة لها.

نفسه ويريد من يكملها له؛ فيتزوج من ترتب شعثه، أو تصبر عند غضبته، أو تزهده من نهمته، أو تدبر له إذا أسرفت يداه، أو تحبب لولده خلقاً يريد أن يكون من ميراثه له.

٢- تحديد الصفات التي تريدها - بعد الالتزام والتدين- تحديداً كالتالي كمثال:

صفات أساسية لابد من وجودها (مثلاً: كدرجة التعلم - تدين الأسرة - السن - الشكل وتفضيلاته الشخصية - الدرجة المادية ....).

صفات حسنة يفضل وجودها (مثلاً: البراعة في البيت - الثقافة العامة - الهدوء...).

صفات منقصة يفضل عدم وجودها (مثلاً: الثرثرة - كثرة زياراتها وخروجها - كونها الوحيدة...).

صفات سوء لا يمكن قبولها (مثلاً: الانتقاد اللاذع - الحدة - آفات اللسان - البخل...).

منطقة القبول — منطقة الرفض

صفات لابد من وجودها — صفات يفضل وجودها — صفات يفضل عدم وجودها — صفات لايمكن الرضا معها

وهي مسألة تخضع للنسبية بوجه عام، ولكن اسمح لي أخي الحبيب أن أدلي برأيٍ في هذا الشأن ولك بعد ذلك ما تريد:

* كثيراً ما يطلب الأخ المسلم في زوجته التي يبحث عنها صفات طيبة وكريمة، ويتعنى لذلك في بحثٍ طويل، وفي الحقيقة تكون هذه الصفات غير بالغة الأثر في سعادة بيته أو تنشئة أبنائه، فمثلا قد يشترط أن تكون حافظة لكتاب الله الكريم كاملاً، وأسألك يا أخي الحبيب: ما علاقة حفظ كتاب الله كاملاً – مع تعظيمنا البالغ لكتاب الله ولاشك– بنجاح المرأة في الاضطلاع بشئون البيت.



* لا تغالي بنفسك أخي الحبيب فيردك الله إلى قيمتك، فاعرف أين أنت، ولا تقس نفسك على غيرك، ولا تنتظر حتى تتزوج بمثل التي عند صاحبك، فهذا نقص وعيب لدى المسلم وثلمة فيه.

* فرق السن الكبير يشعر بالتباعد النفسي، وفرق السن الصغير أو التساوي يشعر بالندية، كما يذكر د. أكرم رضا [1]، ونحن نضم صوتنا إليه في أن هذا الأمر ليس على إطلاقه فكثيراً من الأزواج الذين يصغرون عن زوجاتهن قد احتوته زوجته وأذابت ذلك الفرق بطاعتها له واحترامها وتقديرها لرؤيته في الأمور وما أمر السيدة

---

(١) انظر: كيف تختار زوجة تسعدك، د. أكرم رضا، دار راية.

خديجة رضي الله عنها منا ببعيد، وكذلك تستشعر بعض النساء رغم كبر زوجها عنها بفارق كبير أن زوجها هو الحبيب والأخ الأكبر والموجّه بما يملأ عليها حياتها، وما موقف السيدة عائشة - رضي الله عنها - منا ببعيد أيضاً.

٢- لابد من عرض ذلك التصور على أخ متزن ذي سنٍّ وتجربة يرد الأمور إلى نصابها الصحيح ويرتب الأولويات، ولكن مع عدم التقليل من الشخص الذي أمامه والمحافظة على تقدير تنوع الشخصيات، وعليك أن تصارحه بكل ما تطلب دون خشية أو تلميح بل بكل تصريح، ولكن اعلم: أنك كلما تبسطت في طلباتك كبرت العينة التي يتم منها الاختيار، وكلما كثرت الشروط طال الوقت إلا أن يشاء الله.

ومن استشار الناس في أمره   أضاف عقولاً إلى عقله

يحكون أن أحد الإخوة قد كتب شروطاً طويلة فيمن يريد الزواج منها، ورصّها في ورقة: (امرأة ذات دين - جميلة - مجتهدة دراسيًّا - على قدر كبير من الثقافة - تقيم الليل - تعمل في الدعوة - تحفظ قدراً كبيراً من القرآن - هادئة - اجتماعية - مؤثرة - متواضعة - قنوعة ... إلخ) وظل هذا الأخ المسكين يضرب في طول البلاد وعرضها باحثاً عن الآنسة «كاملة كامل» التي يرجوها، وتمر السنون تلو السنون، وكلما طال عليه الأمد يقتنع بصعوبة وجود

تلك الصفات مجتمعة في امرأة واحدة فيتخلى عن شرط تلو الآخر، حتى لم يبق إلا شرطٌ واحد وهو أن تكون: امرأة... وفقط.

٣- البدء في إبلاغ كل «كبير العقل - حليم - محب لك - متحمل المسئولية» بتلك الصفات[1]..

«عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحاما وأعذب أفواها وأرضى باليسير» رواه ابن ماجه رقم ١٨٦١ وهو في السلسلة الصحيحة رقم ٦٢٣ وفي رواية «وأقل خبا» (أي خداعاً).

قام أحدهم ببث هذه الصفات في جلسة بها صحبةٌ له فسمع أحدهم تلك المطالب، وفي لقاءٍ جمعهما رشح له إحدى الفتيات، وذهب هذا الأخ بعد ترتيب الزيارة، وهناك حدث قبول مؤقت، ولكن في جلسات تالية، وفي أثناء الاتفاقات بدا له من التعامل ما جعله يعرض عن تلك الزيجة، ولكن قوبل من هذا الأخ الوسيط بكلام شديد وعنيف مؤداه أنه «كنت أحسبك تتحمل المسئولية، ولا تضخم الأمور، لكن أنت «كسفتنا» وأحرجتنا مع الناس، وانفعل الآخر، وعلت الأصوات وكانت قطيعة إلى أمد..

(١) ٦٥٪ من الزيجات عن طريق الخاطبة تنتهي بالطلاق في السعودية (الشرق الأوسط ١٠/١٠/١٤٢٠هـ).

بل إن بعضهم يلغي بالكلية ما تطلبه، ويقلل من أهميته ويأخذ في ترشيح كل من تعن له هو، أو من يريد أن يخدمها أو يخدم أهلها بتزويجها منك.

ومن ثم لا تدخل مثل هؤلاء في بحثك، وإذا رشحوا لك من ترى فيها خيراً، فأخبره أنك ستنظر في أمرك أولاً وحاول أن تبحث عن وسيط آخر.

٤- بعد أن تدلي إليه بمطالبك، تابعه وصابر وثابر على ذلك، ولا تظن به النسيان لك أو التناسي عندما يتأخر عليك، فإن الأمر ليس بهذه السهولة، وإن وقت الزواج كوقت الولادة أو الأجل، وربما تجد في طول مدة البحث تربية يربيك الله - تعالى- بها، حتى تقدّر أمر الزواج وترتفع إلى درجة المسئولية المطلوبة.

وطالما أنك طالبٌ للعفاف فتأكد أن الله يجهز لك الخير، اتصل بأخيك وإياك أن تخسره أو يدخل بغضه إلى قلبك، فليس أغلى بعد دين الله - تعالى- من صحبة الصالحين.

٥- عندما يرشح لك واحدة، عليك بمعرفة الأشياء المبدئية التي تريد معرفتها عنها، وعليك بالتكتم الكامل، وحاول أن تنظر إليها في طريقها إلى الكلية أو المعهد، أو المسجد، أو اجعل زوجة صاحبك هذا تذهب بها إلى محل طعام مثلا واذهب لتراها هناك، ولكن قبل أن تذهب اعرف علامة تفرق بها بين تلك الأخت وزوجة

صاحبك!! ولا مانع إن كان هناك صورة أن تراها وبخاصة إذا كانت منتقبة.

ولا يشترط إذنها في النظر إليها: «ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه لا يشترط في جواز النظر رضاها بل له ذلك في غفلتها، ومن غير تقدم إعلام. لكن قال مالك: أكره نظره في غفلتها مخافة من وقوع نظره على عورة. وعن مالك رواية ضعيفة: أنه لا ينظر إليها إلا بإذنها، وهذا ضعيف لأن النبي ﷺ قد أذن في ذلك مطلقاً ولم يشترط استئذانها، ولأنها تستحي غالباً من الإذن»(١).

ابعث أختك لتتعرف عليها في المسجد، وتصاحبها، وتتقارب منها ومن النظر إلى صداقاتها ومعارفها.

ومن العجيب الذي رأيته أن كثيراً من الناس يحاول أن يرى الأخت للمرة الأولى في بيتها، ولو دققنا النظر في الحديث:

عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**». قال فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها»(٢).

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري – كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

(٢) أبو داود، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها، الحديث رقم ٢٠٨٣.

فانظر كيف تخبأ لها، ولم يذهب إلى بيتها.

حتى لو ذهبت إلى بيتها بعد ذلك وأعلمتها أنك رأيتها من قبل، ثم لم يكن ثمة قبول، فستعلم تلك الأخت أن ذلك الرفض ليس مبنيًّا على شيء في شكلها أو هيئتها- وهو ما لا تستطيع المسكينة له تغييرا- وإنما على أمر آخر، وربما كان ذلك ساعتها دافعاً إلى استكمال شيء من السمت أو الخُلق وهو ما تستطيعه، مما يكون أكثر رعاية لنفسيتها من أن تجرح، وبخاصة عند تكرار الأمر.

«قال الإمام أحمد: إذا خطب الرجل امرأة سأل عن جمالها أولاً، فإن حُمِدَ سأل عن دينها، فإن حُمِدَ تزوج، وإن لم يحمد يكون ردًّا لأجل الدين، ولا يسأل أولاً عن دينها، فإن حمد سأل عن الجمال، وإن لم يحمد ردها للجمال لا للدين»[1].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «فبعض الناس يستهترون بذلك حتى سمعت من بعضهم أنه رأى أكثر من عشرين فتاة ولم تعجبه واحدة منهن حتى تزوج، معنى ذلك أنه جرح إحساس أكثر من عشرين فتاة من فتيات المسلمين، فالأولى أن يراها وهي خارجة أو في بيت قريب لها دون أن تعلم مَن هذا

(١) شرح منتهى الإرادات، الجزء الثالث.

ولا ما هذا»[١].

وإذا رُشح لك من تتشابه كثيراً مع ما طلبت ولكنها لا تكتمل فيها الصفات فلا بأس أن تراها، فلعل القدر بحسمه يتدخل، فترى فيها أو تعلم عنها ما يعيد نسبيًّا ترتيب الأولويات لديك، أما إن كانت تفرق كثيراً في الصفات، فأظن أنه من العبث أن تحاول رؤيتها، لأن قناعاتك لن تسمح لك بعد ذلك بالذهاب إلى زيارتها.

٦- مع أن الأصل أن تحاول رؤيتها قبل الزيارة ما أمكنك، إلا أنه لا مانع من أن تعيد الرؤية إذا لم تتبين، أو إذا منعك الحياء من تدقيق النظر.

جاء في كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني في كتاب النكاح:

«وله تكرير نظره إن احتاج إليه ليتبين هيئتها فلا يندم بعد النكاح إذ لا يحصل الغرض غالباً بأول نظرة. قال الزركشي: ولم يتعرضوا لضبط التكرار ويحتمل تقديره بثلاث لحصول المعرفة بها غالبا وفي حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - أُريتك في ثلاث ليال» أ.هـ.

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، في كتاب النكاح أيضاً: «أن المالكية يرون أنه: لا يشترط أن يستأذنها وليها في النظر

(١) بنك الفتاوى، موقع إسلام أون لاين.

بل له أن ينظر إليها وهي غافلة وأن يكرر النظر مرة أخرى».

ولا يليق بك بعد ذلك أن تفعل مثل صاحبنا الذي ذهب لإحدى الفتيات غير الملتزمات، ثم طلب رؤيتها مرة أخرى، ثم تولى عنها، الغريب أن سبب ذلك أنها «غير ملتزمة»!!، وكان ذلك شيئاً واضحاً منذ البداية(١).

جاء في المرجع السابق: «ومعنى هذا أن النظر إلى المخطوبة إنما يكون بالإقدام الصحيح على الزواج وتحقق الرغبة من الجانبين ورضا كل منهما بالآخر، أما إذا كان الغرض مجرد الرغبة في الاطلاع على النساء بدون إقدام صحيح على الزواج فإنه يحرم» (٢).

٧- وإذا تقدم فاسق لذات دين، فهو غير كفء بها، ولأن الحديث يمنع خطبة المؤمن على المؤمن، ولا يحرم خطبة المؤمن على

---

(١) وينبغي التنبيه إلى أن جواز النظر إلى من يريد نكاحها مشروط – عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة- بأن يكون الناظر إلى المرأة مُريداً نكاحها، وأن يرجو الإجابة رجاءً ظاهراً، أو يعلم أنه يجاب إلى نكاحها، أو يغلب على ظنه الإجابة، واكتفى الحنفية باشتراط إرادة نكاحها فقط، والإرادة هنا هي: العزم والإصرار لا مجرد التشهي. والله أعلم. مركز الفتوى- بإشراف د. عبد الله الفقيه الفتوى رقم: ٥٨١٤-موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري الجزء الرابع، كتاب النكاح، حكم النكاح.

الفاسق إذ أنه غير كفؤ لها، والفاسق لا حرمة له [١].

---

(١) (وأما إذا كان الخاطب فاسقا فهل يجوز للعفيف الخطبة على خطبته؟ قال الأمير الحسين في الشفاء: إنه يجوز الخطبة على خطبة الفاسق ونقل عن ابن القاسم صاحب مالك ورجحه ابن العربي وهو قريب فيما إذا كانت المخطوبة عفيفة فيكون الفاسق غير كفء لها فتكون خطبته كـ«لا خطبة». ولم يعتبر الجمهور بذلك إذا صدرت عنها علامة القبول). انظر سبل السلام، شرح بلوغ المرام، للصنعاني: كتاب النكاح.

– حدثنا أحمد بن منيع وقتيبة قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري. عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة (قال قتيبة: يبلغ به النبي ﷺ. وقال أحمد: قال رسول الله ﷺ): **«لا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه»**. قال: وفي الباب عن سمرة وابن عمر. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. قال مالك بن أنس: إنما معنى كراهية أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به، فليس لأحد أن يخطب على خطبته. وقال الشافعي معنى هذا الحديث «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه»، هذا عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه، فليس لأحد أن يخطب على خطبته. فأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه، فلا بأس أن يخطبها. والحجة في ذلك حديث فاطمة بنت قيس، حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها. فقال: «أما أبو جهم، فرجل لا يرفع عصاه عن النساء. وأما معاوية فصعلوك لا مال له. ولكن انكحي أسامة». فمعنى هذا الحديث عندنا – والله أعلم– أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما، ولو=

بل إن للولي أن يطلقها من الرجل إذا ظهر له فسقه بعد ظن الصلاح فيه.

ذكر فقهاء الحنفية أنه: «إذا زوج الصغيرة لرجل يظنه صالحاً فتبين أنه فاسق وأبوها صالح فإن لها أن تفسخ العقد بعد البلوغ، والمراد بالفاسق المجاهر بالفسق، كالذي يسكر على قارعة الطريق، أو يذهب إلى أماكن البغاء ومواخير الفساد وأندية القمار علناً، أو يجاهر بأنه يفعل ذلك، ومن هؤلاء الشبان الذين يتركون الصلاة ويعلنون أنهم لا يصلون ولا يصومون، فإن هؤلاء ليسوا أكفاء للصالحات وبنات الصالحين، فإذا تزوجت واحداً من هؤلاء كان للولي الاعتراض وفسخ العقد»[1].

٨- إذا حدث قبول شكلي، فاذهب إلى أخيك بعد الاستخارة واستفسر منه عن بقية ما يعرفه واطلب منه أن يجدد تلك المعلومات للتأكد منها، وأن يأتي لك ببقية الأجوبة على ما لم يستطع هو الإجابة عليه، عليك أخي الحبيب أن تحاول الوصول إلى ما تريد

= أخبرته، لم يشر عليها بغير الذي ذكرت. انظر تحفة الأحوزي، للمباركفوري كتاب النكاح- باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه – الحديث ١١٣٠.

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن الجزيري، الجزء الرابع، مبحث الكفاءة في الزواج.

معرفته قبل الدخول إلى البيوت.

أكررها عليك ثانية أخي الحبيب: حاول الوصول إلى ما تريد معرفته قبل الدخول إلى البيوت، فليس الأمر سهلاً في دخول بيوت الناس، وليس سهلاً على نفس الفتاة أن يأتي لبيتها من يراها كل عدة أشهر ثم يمضي ولا يرجع، إن أكثر المشكلات في تلك الزيارات تحدث بسبب أن الخاطب يحاول أن يرى الفتاة وأن يعلم عنها ومنها كل شيء في تلك الزيارة مما يحدث كثيراً من الاضطرابات والحدة ويحيل الجلسة كجلسة التحقيقات مما ينفرها، ويقلقه.

حاول أن تعرف قبل الزيارة شكلها، سنها، مؤهلها، ...، واجعل الزيارة للمعرفة العقلية والنفسية، والتآلف الروحي.

فلتعرف عنها ما تريد دون أن تحدث ضجة ولتتلطف ولا تشعرن بك أحداً ما استطعت.

انظر إلى أعز صديقاتها والتي تقضي معها جُل وقتها، وتخرج معها، قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله...»**[1].

قال الشاعر:

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح إن شاء الله. تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي: المجلد الثاني. الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة.

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكــل قــرين بالمقــارن يقتــدي

وصدقني يا أخي الحبيب ما صاحبت امرأة أخرى صاحبة معصية أو سفور لصحبة طويلة ومتناغمة دون أن تكون العلاقة علاقة«دعوة متنامية»، إلا لما يوجد من رواسب الجاهلية والشر في تلك المرأة.

انظر إلى مشيتها، ومدى اكتسائها بالحياء في هذا الأمر من عدمه، ومدى تلفتها وهي تسير، ومدى ما تقضيه في شرفات المنزل ونوافذه.

فلقد نبهك الله – تعالى – إلى ذلك ولفت الأنظار إليه في قوله في سورة القصص عن ابنة الرجل الصالح: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾.

٩- لا تسأل خطيبها السابق، فنادرا ما يترك ذاك المجروح المبالغة والاتهام، ومن الأفضل أن تسأل من عايش الأمر من الصادقين، وإذا وقع ذلك منك فلا تخبر المخطوبة أو أحداً من أهلها أنك سألت خطيبها السابق عن شيء في أمرها، فلربما أدى ذلك إلى تفسيرات وربط مغلوط لأعمالك نابع من ربط بين فعلك وما قاله الخاطب السابق عنها.

١٠- إذا استرحت واطمأن قلبك، فابدأ في إعداد وصف كامل

لنفسك وحالك يحوي نقاط مهمة عن تعريفٍ لك، من أنت، سنك، أسرتك، مدى توافر شقة وأين تقع، وهل هي مستقلة أم يعيش معك فيها أحد الوالدين، وهل هي في بيت العائلة أم بعيدة عنهم، العمل الذي تتكسب منه«بوضوح» ومدى استقرارك فيه– واحتفظ بسرية الحسابات كما سنوضح لك فيما بعد– في كم من المدة تستطيع أن تبني بزوجتك، شهادتك ومؤهلك الحاصل عليه بدقة، عزمك على السفر إلى الخارج إن كنت مخططاً له، الأمراض المزمنة التي قد بُليت بها... إلخ.

«قال البارزي: ولو استشير في أمر نفسه في النكاح فإن كان فيه ما يثبت الخيار وجب ذكره للزوجة وإن كان فيه ما يقلل الرغبة عنه ولا يثبت الخيار كسوء الخلق والشح استحب وإن كان شيء من المعاصي وجب عليه التوبة في الحال وستر نفسه. أ.هـ»[١].

---

(١) مغني المحتاج، للخطيب الشربيني، كتاب النكاح، فصل في الخطبة.

واقرأ الفتوى التالية:

رقم الفتوى: ٢٥٣٧٢

عنوان الفتوى: حكم رد الخاطب المصاب بمرض الدم الوراثي

تاريخ الفتوى: ٢٥ رمضان ١٤٢٣

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وددت أن أسال عن حكم زواجي من شاب حامل لمرض وراثي بالدم وليس=

علمت أن أحد الخطاب قد كتم أمر إصابته بأحد الأمراض المزمنة، ولم يدر أحد من أهل المخطوبة بذلك، وقبل البناء بأيام

= مصاباً به وللأسف أنا كذلك حاملة للمرض وهو (الثلاسيميا وهو فقر دم وراثي) ورأي الأطباء يقول: إن من المحتمل ٢٥٪ من أبنائنا يكونون مصابين بهذا المرض نتيجة للوراثة من الوالدين مع العلم أنه صاحب خلق ودين عاليين ولهذا السبب قد أرفضه فهل يجوز رفضه فقط لسبب احتمال إصابة أبنائنا بهذا المرض مستقبلاً ؟ أرجو إفادتي وجزاكم الله خيراً".

الفتوى:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فالمعول في اختيار الزوج هو الدين والخلق، فمن كان ذا دين وخلق ينبغي للمرأة قبوله؛ إلا إذا كان به مرض يمنع الاستمتاع كالجب والعنة.... ونحو ذلك، أو يمنع حسن وكمال العشرة كالجنون، والبهاق، والأمراض المعدية فلها أن لا تقبله لذلك ولا حرج عليها ولا إثم.

بل إذا تزوجته دون علم العيب الذي فيه، فلها فسخ النكاح عند علمها بالعيب. أما المرض المذكور في السؤال فهو ليس من العيوب التي يفسخ بها النكاح أو يرد بها الزوج، لأن انتقال المرض إلى الأبناء قضية مظنونة، وقد تتخلف، وإن قطع بانتقال المرض إلى بعض الأبناء فهو مرض لا يمنعهم من العيش حياة عادية.

وقد يجد الطب مستقبلا علاجا لهذه الأمراض، ومع هذا فإذا لم ترغبي في الزواج بهذا الشاب للسبب المذكور فلا حرج عليك في رده ولا يلحقك بذلك إثم، ولا يشملك بذلك الوعيد لمن رد صاحب الدين والخلق لأن نفوس البشر مجبولة في الغالب على كره من ظهر فيه ما يدعو إلى كرهه، ولعل الله يقدر لكل منكما خيرا من صاحبه.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه، موقع الشبكة الإسلامية.

ذهب للطبيب المعالج فقال له: لابد من حجزك بالمستشفى خلال يومين للعلاج. فضغط على نفسه حتى أتم الزفاف، فذهب أهل الزوجة في «الصباحية» فوجدوه محجوزاً بالمستشفى وليس في بيت المخدوعة.

لا ننكر حق إخواننا المرضى في الزواج ولكن بعلم المخطوبة وأهلها بكل شيء عن ذلك، ومدى تأثيره على أمور الزواج كلها وخاصة المعاشرة الجنسية، ولا يستنكف إن هم سألوا الأطباء عن ذلك فذاك حقهم ولا شك، ولتعلم أخي الحبيب أن الزواج كالرزق، فاطلبه ولا تجعل مرضك عائقاً طالما كنت قادراً على الزواج، فنحن لا نريدك أن تعرض عنه، ولا أن تطلبه بالخداع.

قال رسول الله ﷺ: **«ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له»**(١).

١١- لا يُستساغ أن يرسل الأخ صورته، ذلك أن الأصل أن الشكل يرجح لدى الرجل، ولكنه على الأغلب ليس كذلك عند النساء، وبخاصة أنه لا صعوبة في النظر إليه في طريق أو عمل.

ولكن ذلك لا يبطل حقها في النظر إلى الخاطب، كما له الحق في النظر إليها، لكن لا يظن الملتزم أن مسألة الشكل تؤثر عند النساء

---

(١) أخرجه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصحح إسناده.

تأثيرها عنده.

(تقدم لخطبتها لكنها رفضته فاستغرب والدها من رفضها ولم يعرف السبب على الرغم من أن الشاب الخاطب من عائلة معروفة، ولديه مركز اجتماعي مرموق ويتمتع برخاء مالي ولا ينقصه شيء، شكله متناسق ووجهه جميل وكلامه لطيف، ومع ذلك رفضته البنت.

فتحاور والدها معها فلم يصل إلى شيء، بل ظل يسمع منها: أنا لا أريد الزواج من هذا الشاب!! فطلب هذا الوالد أحد المختصين ليتحاور مع ابنته ويعرف سبب الرفض الجوهري، وعندما استفسر المختص عن سبب رفضها، علم أنها رفضته لسبب واحد وهو أنه شاب رقيق في كلامه وتصرفاته، ثم قالت: «وشعرت بأنه أنا وليس رجلاً».

أقول بعد سرد هذه الحادثة!

إن مقياس الجمال عند الرجل يختلف عنه عند المرأة، فالرجل يهتم بشكل المرأة وجاذبيتها، وتسحره رقة صوتها وكمال أنوثتها، أما المرأة فالجمال عندها في الرجل أن تشاهده رجلاً، تستطيع أن تعتمد عليه وتشعر عند الاقتران به أنه أهل لحمايتها، وتلمس الأمن عنده، فهذا هو الجمال في عين المرأة، فجمال الشكل ووفرة المال مهم عندها، ولكن الأولوية لأمر آخر تحتاجه ليسد النقص عنها،

وتستمر الحياة بتكاملهما.

تنكح المرأة لأربع....

أما الرجل فله فقط صفتين....

ولهذا نلاحظ أن النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما خاطب الرجل قال: «**تنكح المرأة لأربع...وذكر منها الجمال**»، ولكنه عندما خاطب المرأة قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه..**» فالدين والخلق هو الجمال في عين المرأة وهذه مسألة جوهرية بين الرجل والمرأة.

فالجمال أنواع.... جمال الشكل وجمال الحديث وجمال الهدوء.

فالدين والخلق للرجل بالنسبة للمرأة جمال....! الدين يعطي جمال)[1] .

١٢- لحين أن يأتيك الرد لا تخبر أحداً غير والدك عن أي شيء وبخاصة النساء، فإنك إن فعلت أصبحت على الأغلب من النادمين.

قانون الشائعة:

خلص علماء علم النفس إلى القانون التالي:

---

(١) نقلاً عن محاضرة للأستاذ جاسم المطوع بتصرف يسير.
http:/www.saaid.net/mktarat/alzawaj/88.htm

معدل انتشار الشائعة = مقدار أهمية الموضوع × مقدار السرية والتكتم الذي يحيط بهذا الموضوع.

وهذا مما يؤذي الفتاة ويؤذيك، فما تلبث عمة عندها بنتها أن تلوم، وجارة أن تذم وتحسد، وحاقد ينطلق إلى عراف أو كاهن يستجلب بالكفر تفريقًا [1]، وإن حاجة الناس في القرى إلى هذا التكتم أكبر، فمقدار الاهتمام عندهم أكبر فتكون سرعة الانتشار أسرع.

١٣- إذا بعثوا في طلب أي استفسار معقول فلا بأس طالما في حدود الذوق العام، لأنهم في ذلك الوقت سيحاولون أيضاً أن يعرفوا عنك الكثير بقدر المستطاع، بل إن هذا الاستفسار الذي

---

(١) خمسة مليارات دولار ينفقها العرب على السحر سنويًا ودجال لكل ألف عربي!!
كشفت إحصائية مهمة أجراها المركز المصري للبحوث الجنائية، ونشرتها جريدة صوت الأزهر في عدد الجمعة التاسع من محرم ١٤٢٦هـ- الثامن عشر من فبراير ٢٠٠٥م- كشفت عن نتائج خطيرة فيما يتعلق بانتشار السحر والشعوذة والدجل في البلاد العربية والإسلامية؛ حيث أكدت الدراسة أن العرب ينفقون سنويًا على السحر وحده حوالي ٥ مليارات دولار، وأن هناك دجالاً لكل ألف عربي!!
وفي دبي كشفت إحصائية رسمية أن حجم الجرائم الاقتصادية عن طريق السحر وصل ١,٤ مليار درهم سنويًا!!
وهذه النتائج تعكس مدى غياب المؤسسات الدينية في البلاد العربية والإسلامية عن دورها الأساسي والمهم في مواجهة الجهل الذي تنشأ عنه هذه الظواهر.

بعثوه ليشي بطريقة التفكير المتبعة في هذا البيت وأولويات الاختيار لديهم، فعليك أن ترعها سمعك.

١٤-وعليك أن تأمر الوسيط- حتى وإن كان الوسيط هو أمك- أن تصدق في كل ما تسأل عنه ولا تكتم شيئا ولا تداريه، ولا تضعك بعد ذلك في خيارات كلها أصعب من بعضها، تكذيبها فيما أبلغت به، أو الاستمرار في الكذب، أو الافتضاح إذا علموا الحقيقة، فلا تقحم نفسك في خزي الدنيا ولا عذاب الآخرة.

١٥- في بعض الأحيان يطلب أهلها أن تكون الزيارة الأولى عند عمها أو خالها، أو في بيت أخيها كل ذلك لتكون الرؤية بعيداً عن المنطقة أو القرية التي تعيش فيها، فاقبل ذلك بصدر رحب أخي الحبيب ولا تتحرج من ذلك.

١٦- ثم يأتي موعد الرؤية الشرعية، فاترك لهم تحديده ما أمكنك ذلك، فهم أدرى بظروفهم وظروفهن، من إعداد منزل، وطهر يدفع سأم النفس ومزاجها المتقلب، ومال لشراء ما يقدّمونه، أو أي شيء آخر هم أعلم به.

١٧- حضّر أنت «بدلة فاخرة وحذاء لامع وجورب سليم» وانتبه لهذه الكلمات، واحرص على ارتدائها قبل الموعد بأيام لتتبين ما بها من عيوب يمكن تداركها ولا تترك الأمر حتى يظهر قبل الموعد بساعات فتضطر إلى الذهاب بملابسك العادية، وتعطر بعطر

جميل، ولا تستهن بأمر الحذاء فهو الشيء الوحيد الذي تدخل أنت وتتركه انطباعاً عنك في الخارج.

حكى لي أحد الإخوة أن شقيقته التي جاء لها من يخطبها، عندما دخل ذلك الخاطب نظرت إلى حذائه بالخارج وقالت، «ياسلام الجزمة دي شيك قوي باين عليه راجل شيك »، وتخيل العكس وهو أن تترك حذاءً ممزقاً بالخارج – تدرك ذاك المعنى، فالانطباع الأول يدوم طويلاً مع أنه لا يدوم إلى الأبد.

١٨- لا بأس أن يذهب معك الأخ الوسيط ويجلس لربع الساعة مثلاً حتى يتم تعريفك لأهلها ويذيب الجمود، ثم يستأذن مغادراً، ولا يجلس فالحياء قد يمنع الفتاة حتى من الخروج إليك حتى وإن كان الوسيط كبير السن، ولأنه لا داعي لوجوده ساعتها، ولأن الأب قد يمنع خروج ابنته أحياناً لوجود ذلك الوسيط ويطلب منك الحضور مرة أخرى، كما وقع مع أحد الخاطبين.

١٩- لا تأخذ معك هدية تلك المرة، فإنها هنا قد تكون علامة على موافقتك وأنك تنتظر ردهم وهذا مما يعلق قلب المسكينة، ولقد قال لي صديق قروي: إن هذا الأمر لا يصح عندهم وهذه الهدية تسمى عندهم «ثمن الشاي الذي ستشربه!!» فلا بأس من أخذ هدية بشرط أن تكون بسيطة يتقى فيها أن يُفهم منها ما سبق الإشارة إليه.

٢٠- حتى تلك اللحظة لا تخبر أحداً من أهل بيتك، باستثناء الوالد، مع الاتفاق معه على السرية، والتنبيه عليه أن هذا هو ما نرضاه لأختنا إن كانت في مثل هذا الموضع.

٢١- وهنا نوصيك أن تتعامل على طبيعتك مائلاً إلى الجد، ولا تتكلف وكن بسيطاً فليس بالنفخة الكاذبة يحلو المرء في عيون الناس.

٢٢- لا تتكلم في هذه الجلسة في أي اتفاقات ولا تلمِّح لذلك بشيء، كل ما تذكره لا يزيد عن تعريفك الذي أرسلته، ولا تأخذ أي قرار في تلك الجلسة، فلابد أن يكون القرار بعد الاستشارة والاستخارة، كما ورد في الحديث: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»[1].

إذا أرادوا الدخول في أي تفصيل يخص الاتفاقات وليس استفساراً عاديًّا، فقل لهم بكل ذوق: «أستأذن حضرتك أن نجعل ذلك بعد الجلوس مع الأخت الفاضلة وبعد أن يقوم كل منا باستخارة الله تعالى»، فإن أحدهم أشار إلي التفاصيل في تلك الزيارة قائلاً: «ربنا يسهل، وأنا ناوي بعد ما أخلص الخدمة في الجيش»، ثم ترك الناس ومشي ولم يأت، فأرسوا إليه بعد انتهاء الخدمة في

---

(١) الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطي، باب: حرف الميم، الحديث رقم ٧٨٩٥، الطبراني في الأوسط عن أنس، تصحيح السيوطي: حسن.

الجيش، يخبروه أن الأخت ما زالت في انتظاره وكانت قد تعلقت به، ولكن صاحبنا كان قد ارتبط بغيرها.

٢٣- حاول الاحتفاظ بسرية الحسابات:

كما تفعل بعض البنوك أنها تعرض على العميل أن يحتفظ بسرية الحسابات، ولا يعرف أحد مقدار ما لديه من رصيد، فإننا نؤكد عليك أخي الحبيب أن تحتفظ بسرية حساباتك في مسألة الزواج، وهذا الأمر قديم وليس مستحدثاً في أمر الزواج، يدلك عليه الغزالي في إحيائه قائلا: «لا تخبر أهلك بمالك؛ فإنه إن كان كثيرا طمعوا فيك، واستقلوا ما تنفقه عليهم، وإن كان قليلا استخفوا بك » ولأن ذلك سيكون دأبنا فيما بعد الزواج كما سنرى فيما بعد إن شاء الله تعالى، فإذا سُئلت في ذلك ولحت في سؤالهم الإصرار فقل: كم تظن أن يكون مرتبي، فيقولون مثلاً: أربعمائة، فقل: يعني أكثر من ذلك والحمد لله وإن أصروا فأخبرهم بالتحديد حيث لا مفر.

٢٤- لابد أن تستشعر الفرحة بك، والسرور بقدومك، وذلك عن طريق ما تلحظه من بِشر في الوجه وحفاوة في الكلمة وشيء قد أُعدّ لك من شراب أو تحفة، ومقدار ما يقوم به الأهل من دفع للأخت إلى الكلام وترك الحياء، أو طلب رفع صوتها، والاعتذار عنها إن ألجمها ذلك الحياء قليلا، ومقدار اهتمام الأخت بكيّ

ملبسها وخمارها، وكلمات أهل الأصول التي تسمع فيها: «احنا بنشتري راجل»، «أهم حاجة إن احنا نلاقي واحد يحافظ على بنتنا»..وأمثال ذلك.

أما إذا شعرت بترددهم في تزويجك، وانتقاد عملك، أو نظرات تمسحك ارتفاعا وانخفاضا، أو قالوا لك: وما الذي جعلك يا بني تستعجل طالما أنك غير جاهز ببقية الأشياء، أو دخلوا في تفاصيل عملك وأحوالك بتدقيق مزعج، مع نظرة الارتياب واقتضاب الوجه، أو أي شيء من هذا القبيل فانفض يدك من ذاك السبيل واضرب على أصحابه العفاء.

.. قالوا لمن جاء يخطب ابنتهم – وكان يعمل في مجال الكمبيوتر وليس مهندساً – يا ريت لما يأتوا أخوالها تقول لهم: إنك «مهندس كمبيوتر »، وهنا صُدم الأخ من ذاك المطلب، واستشار إخوانه في الأمر برمته، فمنهم من قال له: «هذا يؤكد أن عليك ألا تكمل»، ومنهم من قال:«وما الذي جعلك تكمل في الجلوس، كان عليك أن تطلب المغادرة في ساعتها »، وقالت له أخته قولة بليغة:«إذا لم تشعر بفرحة الناس بك، وسرورهم بدخولك، فلا تكمل، وكيف يكون الحال بعد ذلك إذا حدث خلاف، هل سيقولون لك: «دا إنت تحمد ربنا إن احنا رضينا بيك ».

٢٥- هناك سؤال ممكن أن يوجه إليك وهو: أين رأيت ابنتنا؟ والإجابة: رأيتها مع إحدى الأخوات وأنا أعرف أنها زوجة أخ لي

فذهبت وسألته عنها، أو أن تعد جواباً صادقاً بصيغة مقبولة لهذا السؤال إن كنت رأيتها في غير ذلك، وإياك أن تقول «لقد كانت عند إحدى الأخوات وكنت مع زوجها بالخارج ونظرت إليها من عقب الباب و...، ......، وهكذا تكون قد زرعت الشك والريبة فيك إن لم يكن الرفض، من أول وهلة.

٢٦- لا تعلق قلبك بصاحبتنا حتى يُردّ عليك بالقبول، فلقد دار حوار في منتهى التفاهم والقبول والرضا بين أحد الإخوة في رؤيته لإحدى الفتيات، وكان ذلك منها لعدم إحراج صاحبنا - وهو الشيء الذي لم تألفه- وقد تعلق هو بها شكلاً وموضوعاً، ورجع إلي بيته وقد أقر في نفسه أنه قد وجد ضالته وفرح بها وكاد يطير، وجاءه الرد على عكس ما توقع تماما...الرفض، وكان ذلك مما أثار صدمته بعد التعلق الذي حدث وما بناه على هذا الحديث الشيق في ذلك اللقاء، حتى إنه بعث في الاستفسار والمراجعة ولكن عاد الوسيط بالتأكيد عليه بالرفض، وحقاً إنها أقدار واستخارة [1].

---

(١) رقم الفتوى: ٤٥٣١١ تاريخ الفتوى: ٢٥ شعبان ١٤٢٥ ه
عنوان الفتوى: لا حرج على الفتاة في عدم قبول من يتقدم لخطبتها
السؤال: أنا مخطوبة من إنسان متدين أو تربى تربية متدينة أبوه ملتح وأمه منقبة وهو يصلي الفجر وطيب وحنون ولكني لا أحس بالسعادة معه وأحس بقلبي=

روى الحاكم والترمذي، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا :«من سعادة ابن آدم استخارته لله تعالى، ومن شقاوته تركه استخارة الله تعالى».

٢٧- قد يحدث بعض الأشياء غير المتوقعة فحاول أن تفهمها

= يحترق كلما قدم لزيارتنا في بيتنا وأحس أني لا أتقبله ولكنه متدين فماذا أفعل وهل على إثم لو تركته؟

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: فقد رغب الشرع الحكيم في تزويج المرأة من الرجل المرْضي في دينه وأخلاقه.
روى الترمذي وغيره بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**».

ومع ذلك، فإن المُشرِّع جعل للمرأة الحق في أن لا يفرض عليها من لا ترغب في الزواج منه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول ﷺ قال: «**لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن**».

وفي صحيح مسلم: «**الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها صماتها**».

وعليه، فإذا كنت لا تشعرين بالرغبة في الشخص الذي خطبك، ولا ترين أنه يصلح للزواج منك، فلا حرج عليك في رفضه.

وإعلان ذلك قبل عقد النكاح أولى من السكوت عليه، حتى إذا تم الارتباط حصلت المشاكل، ولم يثبت كيان الأسرة، وأنت إذا تم عقده عليك صرت زوجة له، وصار من واجبك طاعته، وأما الآن فلا شيء عليك في عدم قبول التزوج منه.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبد الله الفقيه، موقع الشبكة الإسلامية

ويتسع لها صدرك، مثال ذلك: عندما ذهب أحدهم لرؤية من أصبحت فيما بعد زوجته، فنظراً للطبيعة العائلية لأسرتهم فقد كان يجلس معهما والدها وعمها الكبير وعمها الأوسط وزوجة عمها وجدتها، مما دفعها أن تستأذن بعد أن جلست بخمس دقائق من شدة الإحراج والحياء، وبرروا ذلك لشدة حيائها!!، ولكن الأخ تفهم ذلك وطلب من الأخ الوسيط بعد ذلك، أن يحدد له موعداً آخر، يكون فيه هو وأبوها وتلك الأخت فقط، وقد كان.

والبعض منهن على النقيض من ذلك قد ينتابها حالة من الضحك الهيستيري غير المفهوم – والتي تحاول أن تكظمها لكنها لا تستطيع احتواءها– أو غير المتناسب مع مقتضى الحوار، أو بعض العصبية الضئيلة من جراء كثرة من حولها أو تعلق كل العيون بها.

٢٨– مما لا أتخيله في هذا الموقف أن تجتهد– كما تعودت أخي الحبيب– في غض بصرك فإنه هنا لا يليق، فلابد من تعلق البصر بها، بقسمات الوجه وما تعبر عنه، بطولها وبدانتها إذا أقبلت أو ولت، بنغزات اليد التي تعبر عن البدانة، واختفائها الذي يعبر عن التوسط، انظر إليها أخي، ولا تخش من اطلاع والدها عليك، حاول أن تجعلها زيارة واحدة قبل الاتفاق ولا تثقل عليها وعلى أهلها قدر المستطاع[1].

---

(١) يقول سهل بن أبي خثمة: رأيت محمد بن سلمة يطارد بثينة بنت الضحاك فوق اجار لها ببصره طردا شديدا فقلت: أتفعل هذا، وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله –عليه الصلاة والسلام– يقول: «**إذا ألقي في**=

٢٩- ما تعلمه عنها فحاول التأكد منه، وما لا تستطيع علمه فاستعن عليه بالاستخارة [(١)]، فإذا استخرت الله تعالى فاطمأن قلبك

= قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها » رواه أحمد. قال الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله: أن يؤدم بينكما أي يوفق ويصلح، ومنه الأدم الذي يصلح به الخبز وإذا وجد ذلك كله وانتفت المناسبة والعلاقة التي بينهما لم تستحكم المحبة وربما لم تقع البتة، فإن التناسب الذي بين الأزواج من أقوى أسباب المحبة.

(١) ورد في موقع إسلام أون لاين تلك الفتوى بعنوان: الرؤيا وانشراح الصدر وأثرهما على الاستخارة.

تاريخ الإجابة: ١٧/ ١١/ ٢٠٠٥

نص السؤال: استخرت الله تعالى في زواجي من فتاة تعمل في نفس المؤسسة التي أعمل بها وانتظرت الرد في صورة انشراح قلب وبالفعل لم أحس إلا بالاندفاع نحو مصارحتها بالزواج غير أني في صلاة الاستخارة كنت دعوت الله أن يوفقني برؤية في منامي وبعد شهر أو أكثر رأيت في منامي وكأن أمي تخرج من بيت العروس وهي منفعلة لسوء معاملة أهلها لنا وقمت من نومي وأنا أحمد الله على ذلك ولكن بعد سبعة أشهر رأيتها في مناسبة اجتماعية فلم أستطع على مدار سنة أن أنساها.

اسم المفتي: الشيخ فيصل مولوي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فالاستخارة تكون في الأمور المباحة التي يستوي فيها الفعل والترك، وهي تعني لجوء العبد إلى ربه حتى لا يكله إلى نفسه، وصلاة الاستخارة لا علاقة لها بالرؤيا كما يظن كثير من الناس، وإنما إذا صلى العبد صلاة الاستخارة فعليه أن يمضي لما ينشرح له صدره، فإذا علم الله في الأمر خيراً يسره له وإلا صرفه عنه.

وإليك فتوى سماحة المستشار فيصل مولوي - نائب رئيس المجلس الأوروبي=

وانشرح صدرك وشعرت وكأنك رأيت امرأة كنت تعرفها من قبل، أو وجدت تآلفا وتقاربا روحيًّا فيما بينكما، وعاطفة وميلا، وليس اشتياقا جنسيًّا - وهو ما تجده تجاه كل حسناء - إذا وجدت ذلك،

=للبحوث والإفتاء:

يجوز لك أيها الأخ الكريم الزواج بهذه الفتاة مطلقاً إذا كانت محافظة على دينها. وإن كانت مقصرة فغيرها أولى منها لأن الرسول ﷺ حث في أكثر من حديث على الزواج بالمؤمنة الصالحة (فاظفر بذات الدين) أما رؤياك في المنام فلا تؤثر على ذلك إلا فيما لو كانت هذه الفتاة غير مناسبة لك وأنت الشاب المؤمن المحافظ على دينك.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاستخارة لا تكون إلا في أمر مباح استوى في ذهنك طرفاه (الفعل والترك)، انظر فتح الباري جزء١٢ص٤٧٨.

تبقى ناحية ثالثة وهي أنه إذا كان قد انشرح صدرك لهذا الأمر فبادر إليه لأن مجرد انشراح الصدر كاف للفعل المستخار له كما ذكر الإمام النووي بقوله: «وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره ».انظر الأذكار ص٣٢. حتى قال بعض العلماء بأن المستخير يبادر بالتحرك فإلى إليهما سبق شرع فيه، وإن لم تكن له إرادة لأيهما وليس عليه أن ينتظر حتى ينشرح صدره أو لا ينشرح وإنما يمضي. انظر فتح الباري جزء ١٢.

فالمسألة فيها متسع والمستخير لا ينظر ماذا يرى في منامه - كما يقول كثير من الناس - بأنه إن رأى في الرؤيا ما يسره يمضي لما استخار له وإذا رأى ما يزعجه أو يخيفه أو ما شابه ذلك يمسك عما استخار له، بل يفعل ما ينشرح له صدره كما يقول الإمام النووي في الأذكار.. والله أعلم.

أو شرعت في الأمر فوجدت التيسير حليفك ففاتح بقية أهلك واشرح لهم الأمر بجوانبه، واطلب منهم أن يساعدوك بالقدوم معك في الزيارة التالية لأخذ القرار، ولا تأخذهم قبل ارتياحك أنت للأمر.



وليس ذلك لعباً بعقل أبويك، وإقراراً لما قررته من قبل، بل استرشد برأيهما فإن لهما نظرة لا يعتريها الميل ولا اللهاث، وهما لا يستفزهما الاستعجال مثلك أيها المهلهل، فضلا عن أن الانغلاق القلبي المستحكم بين الأم والمخطوبة أو بين الأم ووالدة المخطوبة يعني أن كل شيء لابد له من أن يتوقف، ويعاد تقييمه، فلا تجري وراء زوجة تهدم ما بينك وبين أمك.. والسلام.

قابلني يوما أحد الآباء وقال لي: إن ابنه يصر إصراراً غريباً أن يتزوج من فتاة تشاركه كل شيء حتى في فكره وعقليته، وأنه قد رشح له كثيراً من المحجبات الحسناوات ولكنه يرفض حتى أن يذهب لينظر إليهن.

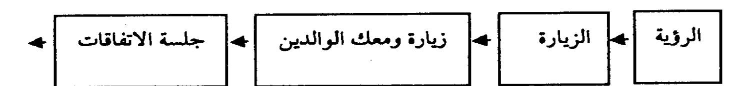
فقلت له: أتطلب مني الصدق يا سيدي.

قال: نعم بالطبع.

قلت: إن ابنك هذا قد تبرمج على طريقة في الاختيار، وبالتالي من الصعب أن تغير تفكيره، ولكني أعلم منه أيضاً أنه عاطفي في اختياراته، ولذا أطلب منك يا سيدي بدل أن تقف أمامه وتمنعه، أن تذهب معه وترشّد له اختياره.

وقد فعل- جزاه الله كل خير- وقد اختار مع ابنه من أسعدته واستلبت فؤاده.

٣٠- ودور الأم أيضاً في تلك الزيارة أن تتأكد من سلامة ما لا تستطيع أنت رؤيته من ظاهر جسدها، فتستطيع الأم أن تطلب منها أن تجالسها في غرفة منفصلة عنك في يوم الزيارة لترى شعرها وأذنها، وقوامها، كما أنها تتأكد من صفات جعلك الارتباك أو الإحراج في ذهول عنها، فقد لا يتضح لك طولها الحقيقي مثلا بسبب أنك رأيتها وأنت جالس، ولابد على الأخت وأهلها أن يتفهموا ذلك ويعلموا أنه من حق الخاطب في ذلك اليوم.



ومن الممكن أن تذهب الأم بمفردها وتزور البيت قبل الزيارة التي ستصطحب فيها أباك، ما سمحت بذلك الظروف.

فلقد ورد في مستدرك الحاكم، عن أنس- رضي الله تعالى عنه-:

أن النبي ﷺ أراد أن يتزوج امرأة، فبعث امرأة لتنظر إليها.

فقال: شمي عوارضها، وانظري إلى عرقوبيها.

قال: فجاءت إليهم.

فقالوا: ألا نغديك يا أم فلان؟

فقالت: لا آكل إلا من طعام جاءت به فلانة.

قال: فصعدت في رف لهم، فنظرت إلى عرقوبيها.

ثم قالت: أفليني يا بنية.

قال: فجعلت تفليها، وهي تشم عوارضها.

قال: فجاءت، فأخبرت(١).

(عرقوبيها: العرقوب: عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير).

وجاء في لسان العرب:

وفي الحديث: (أن النبي - ﷺ - بعث أم سليم لتنظر إلى امرأة فقال: شمي عوارضها).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، كتاب النكاح الحديث رقم ٢٦٩٩/٢٨- وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

قال شمر: هي الأسنان التي في عرض الفم وهي ما بين الثنايا والأضراس، واحدها عارض، أمرها بذلك لتبور به نكهتها وريح فمها أطيِّبٌ أم خبيث [1].

ولكن كل ذلك يكون بالرفق بتلك الأخت الكريمة التي لا نريد أبداً أن نجعلها تشعر بأنها كالفاكهة والبضاعة التي يُقلَّب فيها، فلو دققت النظر في الحديث لرأيت المرأة الأريبة التي بعثها رسول الله ﷺ قد تبينت الصفة الأولى والصفة الثانية -دون سؤال عنها- بشكل غير مباشر، وحافظت على مشاعر المخطوبة.

كذلك لابد من الرفق بالأم– أقصد أمك أنت– وعدم الضغط عليها خشية أن تفعل كذا أو تقول كذا، وكثرة التحذيرات لها وكثرة التهديدات أحياناً، كل ذلك يجعلها تذهب منفعلة مغتاظة، وتستشعر أنه ذُهب بها استكمالاً للصورة مع التحرج منها، قبّل يدها قبل الخروج وقل لها: يا أمي إن رأيك مهمٌ عندي جدًّا، فافتحي عينيك، وأشيري عليّ بالخير.

٣١– إذا جاءك الرفض من نفسك، ثم تبين لك بعد ذلك الخير فلا عيب أن ترجع وتتراجع، وأما إن جاءك الرفض منهن فلا تراجع طالما بان لك أنهن لم يجدن القبول، فلم تفلح تلك المراجعة

(١) لسان العرب، الجزء ٧ ص١٨٠.

فيما بلغني إلا على النادر العزيز، ولن ترجع إلا بثلمةٍ في كمالك، وضعفٍ في نفسك.

– تحمّل، وتقوى، أعرف أن الأمر صعب عليك، ولكنك قد دعوت ربك قائلا: «واقدر لي الخير حيث كان ثم رَضِّني به»، وقد قدّر لك الخير، فاسألِ الله أن يتم عليك نعمته ويرضيك بما قسم.

– قد شعرت أنها تناسبك، وشعرت أن روحك وروحها يلتقيان، وقد....، وقد.... فلما هذا الرفض...، إنه الخير يا أخي، الذي إن فاتك شقيت في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ ﴾ [الشورى:٢٧].

لعله من عجائب الحياة، أنك إذا رفضت كل ما هو دون مستوى القمة، فإنك دائما تصل إليها
سومرست موم

– بلاء بسيط اقفز فوقه بجوادك أيها الفارس، وارضَ باختيار الله – تعالى– لك، ولا تركب مركب الأشقياء؛ فيكلك إلى نفسك، فتزل قدم بعد ثبوتها.

٣٢– أخي الحبيب: لا تفعل غير ما يمليه عليك الدين، لابد أن تُغلِّب العقل، فإذا بدا لك أنها دون التدين الذي تريد، فلا تبرر لنفسك، ولا تجعل جمال السحنة والقوام – وهو الذي يتعود عليه المرء ويفنى بهاؤه – يجعلك تقامر على الجنة، فإن الأصل أنك ستخسر هذا الرهان، وليس معنى أنْ أفلت استثناء أن تتغير تلك

القاعدة، فالاستثناء يؤكد القاعدة ولا يلغيها طالما كـان نـادراً، وهـو نادر ولا ريب.

إن أعظم ما نخاف منه في أمر الزواج برمته هو أن يغلب عليـك الهوى فتتعامى، وتداري، ولكن من تخدع يا مسكين، فما من مخدوع على التحقيق غيرك.

قد يقول قائل: ولِمَ ذلك التشدد؟ لِمَ لا أكون سبباً في هـدايتها وأحاول الأخذ بيدها، وإن لم أفلح في ذلك خـلال الخطبـة فـسخت خطبتي؟

أقول لك أخـي: إن الـزواج لـيس لهـذا الأمـر، ولـيس حقـلاً للتجارب.

أخي الحبيب: بماذا سترد على أهلها عندما تطلب فسخ الخطبة إذا قالوا لك: ما السبب؟ فإنك إن قلت ساعتها: إنها غير صادقة في التزامها. قالوا لك: أولم تكُ عالماً بذلك ساعة وافقت عليها؟!

أم أنك ستعقد مع أهلها اتفاقـاً أنهـا إن لم تلتـزم فلـن تكمـل، وأظن أن هذا محال.

وهب أنك رأيتها تستجيب لك في مطالبك من لـبس الحجـاب أو مصاحبة الصالحات، ولكنك تعلم أنها تفعل ذلـك للـزواج بـك فهل ستكمل أم سترجع.

إني أعرف حالات تشبه تلك الحالات تلبس الزوجة الحجاب مع زوجها إذا خرجت معه. أو إذا خرجت في الشرفة (البلكونة) وهو موجود بالشقة، فإذا نزل خلعت حجابها، ووقفت في الشرفة لا بمنديل رأس إنما وشعرها ظاهر، هل تريد أن تكون من هؤلاء، أم أنك ساعتها ستطلقها وتلعب بها وبمستقبل ابنك معها حين تحتضنه هي.

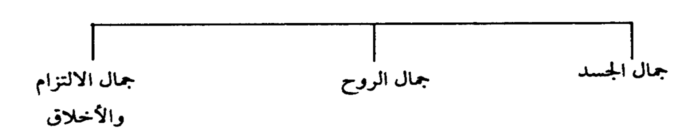


هنا - وهنا فقط- يظهر الرجال، يظهر انتصار القيم على الشهوة، وهذا الكلام أحسبك تترنم به، وتعلّمه للناس، فهذه عقبة ومحك لابد أن تتخطاهما، فإن وراء كل عقبة سوداء كئود جنة تنتظرك من جنان الدنيا أو الآخرة.

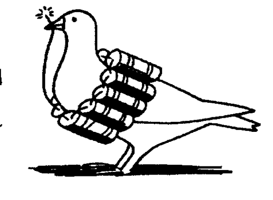
يذهب الجمال ويبقى سوء الطباع، يتولى القوام الممشوق في أيام قلائل وتبقى روح جامدة وقلب مظلم طول العمر، تتولى البسمات المضيئة وتبقى الكلمات الصفيقة، عثرات وهنات ونكد وألم، صباح به كسل عن الخدمة، وظهر قد جمع سوء المقابلة مع الالتهاء بالذات، وليل ترى فيه الذل لتظفر بحاجتك.

ذات الدين وإلا التراب.

إن جمال المرأة ثلاثة أقسام:



وإنك لن تشعر بلذة الجسد ولا الروح ما لم يكن هناك جمال الخُلق والدين، فذات الجمال إذا ضعف خلقها ودينها ستذلك بهذا الجمال وتتدلل عليك به حتى تكره هذا الجمال الذي جرّ عليك تلك الآفات، وصاحبة الروح الرشيقة والكلمات العذبة إذا افتقرت إلى ما يربطها بربها فسيكون جمال الروح منها لكل الناس دونك، وسيسعد كل من يلقاها بتلك الرشاقة والخفة إلا أنت، وستصير أنت المحروم الوحيد من جمال تلك الروح، ما تراه ليس ذهبا مهما لمع... إنه - كما قال المعصوم - تراب.



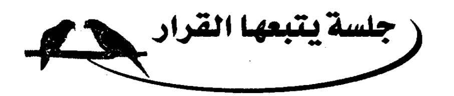
أخي ارجع لا تفعل.. أيام وتنسى.. الالتزام سيبهت، وخدمة الدين ستُشغل عنها.. ثم لماذا ذلك كله!!!

أمن أجل... التراب.

دعنا نمر من فوق تلك العقبة لنكمل الرحلة أخي الحبيب:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته».

٣٣- إذا تأخروا عليك في الرد، أو أعطوك موعدا للرد ثم لم تجد الإجابة فلا تتعجل بالافتراض أن هذا بمثابة الرفض لك، إنما هو التردد الذي يغلب على النساء، أو السؤال عنك الذي ربما تعثّر ، وبخاصة إذا كانت للفتاة خطبة قد فشلت من قبل، جعلتها تصاب بالحذر المرضي من تكرار المأساة.



جلسة يتبعها القرار

بعد أن ذكرنا إجراءات التقدم للخطبة، كان لزاما علينا أن نعيد الوقوف عند أهم إجراء وهو الزيارة الأولى وما يحدث فيها بشيء من التفصيل.

والإنسان - كما قيل - ينقسم إلى ثلاث مساحات، مساحة تعرف منذ الجلسة الأولى بالكلام وتبادل الحوار، ومساحة تعرف بالتعامل المبدئي وفترة التقارب الأولى، ومساحة مجهولة تظهرها مواقف السنين والأزمات، ومواقف الضيق والسعة.

ولذلك فليس هدف الزيارة الأولى هو التأكد التام الكامل من أخلاق المخطوبة، فهذا الأمر من الصعوبة بمكان، وإنما الغرض منها القبول المبدئي لتدينها وفهمها وخلقها، وانتفاء وجود الصفات المذمومة التي قد تؤدي إلى الإعراض عن تلك الزيجة.

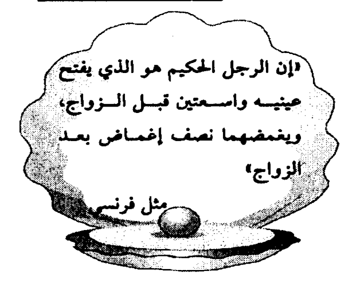
إذًا فهدف الزيارة هنا هو محاولة التعرف بقدر الإمكان على عدة أمور أهمها:

١- مدى الالتزام والخلق الذي تتحلى به.

٢- مدى توافق الطباع وانسجام الروح.

٣- التعرف أكثر على الوالدين وبخاصة الأم وطريقة التفكير ومعايير التعامل.

٤- رؤية مدى قبولهم لك.



علامات الحياء:

من أهم الأخلاق التي لابد أن تتحلى بها الزوجة الحياء، فهو كما قال المعصوم:

عن يزيد بن طلحة الركاني، أن النبي ﷺ قال: «**إنّ لكل دين خُلقا، وخلق الإسلام الحياء**»(١).

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شانهُ، وما كانَ الحَياءُ في شَيْءِ إلا زَانَهُ**»(٢).

---

(١) الموطأ، للإمام مالك، برواية الإمام محمد بن الحَسَن، المجلد الثالث. تتمة موطأ الإمام مالك، أبواب السيَر، باب فضل الحياء.

(٢) الترمذي وابن ماجه، قال الترمذي: حديث حسن.

وفي الحديث: "إن الله إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقَه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا لم تلقه إلا خائنًا مخوَّنًا نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما مُلعَّنا فإذا لم تلقه إلا رجيمًا مُلعنًا نزعت منه ربقة الإسلام"[١].

وفي الحديث أيضًا: "إن الحياء والإيمان قُرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رُفع الآخر[٢].

لذا لابد أن تكون هذه الصفة أساسية، لا تنازل عنها، ولا يتخطاها المرء إلى غيرها حتى يُحكِم التأكد منها، فدعنا أخي الحبيب نرى بالعلامات الآتية مدى وجود تلك الصفة عند هذه الفتاة.

بل إن الحياء ليعبِّر عن كمال العقل، كذلك فإنه عندما يظهر عند الطفل فهذا علامة بدء قابليته للتعلم، يقول فرويد:«إذا غابت مشاعر الحياء فإن ذلك من المؤكد إشارة إلى ضعف العقل».

١- النظرات الخاطفة المسترقة

فهي لا توجه نظرها إليك، وإنما تسترق النظر إليك ولا ترفع رأسها إلا لماماً، ومعظم نظرها إلى والدها أو والدتها التي تجلس أمامها.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، باب ذهاب الأمانة من حيث ابن عمر.

(٢) ذكره الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" من حديث ابن عمر.

حكى أحدهم فقال: ذهبت يوما لرؤية إحدى الفتيات رؤية شرعية، وقد أزعجني في هذه الرؤية أن نظر تلك الأخت لم ينزل عني إلا نادراً، وكانت تركز النظر عليَّ في كلامها، وردِّها، ووجدت في عينيها جرأة تذكرت بها تلك العيون المتشابكة في أروقة حديقة الجامعة، لا ترى في ذلك حرجاً، ولا يحيك في الصدر لديهم من جراء تلك النظرات شيئاً، لدرجة أن أخانا المسكين هذا هو الذي كان يغض بصره ولم يستطع الصمود أمام تلك النظرات، وقبل أن ينهي زيارته كان قد أخذ قراره بالعدول عن تلك الزيجة....

٢- فرك الأصابع وتقارب القدمين من بعضهما، وتقارب الركبتين.

٣- الإجابات التلغرافية

وهي الأجوبة قليلة الكلمات التي تشبه كلمات التلغراف الذي يدفع المرء فيه عشرين قرشاً على كل كلمة، فكلما سألتها كان معظم كلماتها تشبه الكلمات الآتية: الحمد لله – جزاك الله خيرا- أيوة – لأ – للأسف أنا معرفش....

٤- احمرار الوجنات

وبخاصة عند بداية الدخول، وبداية تحول الحوار من أهلها إليها، ويزداد الأمر عند الابتسام أو غلبة ضحكة الحياء التي تخبيء معها وجهها بيدها وتحاول أن تداري رأسها بين كفّيها.

٥- **الجلوس على طرف الكرسي أو منتصفه وعدم الاستناد إلى ظهره**

فأنت تعلم أن ذلك في لغة الجسد هو تعبير لا شعوري عن الحياء والاستتار، لما فيه مِن لَمِّ المجامع وانحناء الجذع على بعضه.

المرء مخبوءٌ تحت لسانه، فإذا «بَعبَع» ظهر

ونظراً لهذا الحياء فإن هناك قلق بالغ وجو سكون، لابد أن يملك الخاطب المبادرة لكسره بالبدء في تعريف نفسه ويدخل شيئاً من الدعابة الراقية في أثناء التعريف ليرى هل كسر الجمود أم ليس بعد.

وإن ردًّا بابتسامة الحياء ينبيك عن تصريح بالاستمرار، ومن تلك الدعابات مثلا أن يذكر في معرض كلامه بعد تعريف اسمه وعمله وأسرته أنه يحب أفلام الكرتون، أو أنه «أعزب وعنده خمسة أطفال.... يعطيهم درس كل يوم جمعة في المسجد».. وأمثال ذلك.

ولكن مع الحرص على عدم الإسراف والإسفاف في مثل ذلك، أو أن يمتد لوصفٍ يؤول إلى أشياء أخرى غير الدعابة كوصفٍ أو استعراضٍ للقوة أو المقدرة.

ويجدر بنا هنا أن نصف لك نظرة التداعي المستحث: « ونعني بها ما كشفت عنه البحوث والنتائج، أن إفصاح الشخص عن ذاته

يستثير الإفصاح من جانب الآخرين، ومن خلال تبادل الإفصاح تقوى العلاقات الشخصية بين الطرفين، أضف إلى ذلك أنه أثناء إفصاح الشخص عن ذاته يكشف عن آماله وحاجاته ورغباته، فإذا أشبعت تلك الحاجات أو بعضها من جانب الطرف الآخر فإن ذلك يقوي العلاقة بينهما نظراً للصلة الوثيقة بين التدعيم الاجتماعي والتجاذب بين الأشخاص »[١].

وستبدأ هي تبعاً لذلك في تعريف نفسها.

وحاول أن تعزل أهلها عن الرد، وقل لهم بكل ذوق وبابتسامة حيية: «بعد إذنكم أريد أن أسمعها هي».

واحذر أن تشعرها من قريب أو من بعيد أنها كالفاكهة التي تقلّب فيها، وتقيِّمها، أو أنها في شيء يشبه الاستجواب أو الاختبار، وإلا أخرجت أضغانها، وأظهِر طلاقة الوجه، وطيب المنطق.

ذهب أحد الخاطبين يوماً لرؤية شرعية، فلما عرَّفت الأخت نفسها قالت: إنها في جامعة الأزهر، وحتى يكسر الأخ الجمود قال في سلامة نية: «يعني على كدة تعرفي غزوة أُحد كانت في سنة كام».

فبادرته الأخت قائلة: « والله أنا أظن إني أنا مش جاية هنا علشان يمتحنوني».

---

(١) الصداقة من منظور علم النفس، د.أسامة أبو سريع، سلسلة عالم المعرفة ص٦٣.

وهنا شعر الأخ بالامتعاض، وكانت حدة ناتجة عن شعورها بما شرحناه من قبل، مما أدى إلى أن يبادر الأخ بالاعتذار بأنه لم يقصد ذلك إنما أراد أن يزيل الجمود من الجلسة.

وعندما أبلغ هذا الخاطب الوسيط في تلك الخطبة بشعوره بحدة رجَّحت له الإعراض عن الاستمرار، نقل له هذا الوسيط أن تلك الأخت تبلغه بأنه سواء كان هناك قبول أم لا فإنها تعتذر لأنها شعرت فيما بعد بأنها انفعلت دون مبرر.

وأظن أن هذا خطأ مشترك.

وعليك أن تتبسط دون أن تلمِّح بفرحتك أو ما يفهم منه تأكيدك على القبول بأي شكل أو أي لفظ أو تلميح، فإنك إن رجعت بعد ذلك بالقبول بعد ظن الرفض منك، خير من أن ترجع بالرفض بعد ظن القبول وتعلق المسكينة ذات اللهفة.

ولاحظ بدقة ابتسامتها، وبسطة وجهها متى تختفي ومتى تظهر، حين ترِد عليها الأسئلة.

ولا تقل لها «حضرتك»، وعليك بالظهور بتلقائية حتى تدفعها إلى أن تنحو منحاك مما يؤدي إلى ظهور المكنونات.

ونجاح المرء في ذلك الوقت أن يسأل أسئلة بعيدة ثم يقرِّب شيئاً فشيئاً من محور الأسئلة، بشرط أن تكون الأسئلة الأولية منطقية

غير مفتعلة.

وبالجملة فإن نجاحك في الوصول إلى أن تجعلها «تبَعبَع» وتتكلم على راحتها، وعلامة ذلك زوال كثير من الاقتضاب في الردود وأن تزيد على ست أو سبع كلمات إذا استدعت الإجابة ذلك.

وهنا لابد أن ينظر الأخ إلى:

١ - مقدار التوازن في التعريف بين الطول والقصر والتوازن بين مدح النفس والاعتزاز بها أو ذمها والتقليل منها.

٢- هل انقطاع النظر للأرض دليلا على أن ما كان بالأول لم يكن من أخلاقها أم أنه رغم كلامها المنساب يظل استراق النظر وليس تركيزه هو الغالب.

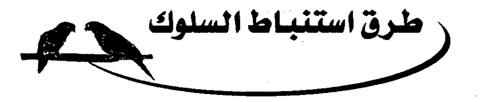
٣- سلامة الحروف والمنطق من عيوب الكلام [1].

---

(١) يقول فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي:

«نفس الرؤية ليست مجرد رؤية الوجه إنما هي رؤية الشخصية، فهو يريد أن يستمع إليها ربما تكون خنفاء أو لدغاء أو تتثتئ ولا يحب هو هذا، فهو يسمع كلامها فقد يعجبه صوتها أو لا، فالنظرة بحيث إنه لا يتعرف فقط على مجرد وجهها إنما يتعرف على شخصيتها من بعض الحديث، من بعض الأسئلة من بعض الكلام، يتعرف عليها وهي تتعرف على شخصيته، المهم أن فترة الخطبة هي فترة تعرف، بحيث إذا كان كل منهما مناسب للآخر فيتممون عقد الزواج، وإلا كل واحد يذهب إلى حال سبيله قبل أن تقع الفأس في الرأس».

موقع فضيلة الشيخ القرضاوي.=



طرق استنباط السلوك

- **الأسئلة المباشرة.**
- **التعبيرات غير المباشرة.**
- **العلامات والإشارات.**
- **لغة الكلام ولوازم اللسان.**

كما ذكرنا أن الإنسان ينقسم إلى مساحة يمكن معرفتها منذ الجلسة الأولى، ومساحة يمكن معرفتها بعد الخطبة، ومساحة لا تعرف إلا مع السنين.

=ويقول الدكتور حسين شحاتة – الأستاذ بجامعة الأزهر:«يرى فريق من الفقهاء أنه لا حرج من أن ينظر الخاطب للمخطوبة ما دامت ملتزمة بالزي الإسلامي ولا يظهر منها إلا الوجه والكفين، وهذا الرأي أرجح وأولى بالاتباع ».

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب:«أجاز الفقهاء بأن يتكرر جلوس الخاطب مع مخطوبته عدة مرات حتى يؤدم بينهما حسب وصية رسول الله ﷺ... فلقد روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح أن ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم» رواه أحمد في مسنده.

(انظر كتاب آداب الخطبة في الإسلام. د. حسين شحاتة: دار المنار الحديثة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٣٥، ص٢٣).

ولكن المشكلة تكمن في أن الناس يُضيِّقون كثيرا من تلك المساحة التي يمكن معرفتها من الجلسة الأولى، وينسَون أن كثيراً من الاختيارات في حياتنا تقوم على الحكم بعد جلسةٍ طويلةٍ مع الشخص.

وأحب أن أنوه على أن تلك الدلالات تتدرج في قوة حكمها على الشخصية، فأقوى الدلالات ولا شك هي إجابات الأسئلة المباشرة، يليها دلالات الإجابات غير المباشرة يليها العلامات ثم تعبيرات اللسان العفوية.

فتعالَ معي أخي الحبيب نحاول أن نمتلك القدرة على الاختيار في الجلسة الأولى:

الأسئلة المباشرة:

لابد في هذا النوع من الأسئلة أن تسأل عن معايشة الالتزام، وليس عن الثقافة أو المعلومات، فتسأل عن حالها مع صلاة الفجر، واسألها عن «صلتها بالقرآن» ومدى محافظتها عليه.

وهنا لابد أن نعيد التذكير بخطورة تحول الجلسة إلى جلسة تحقيق، وامتحانات، وشكوك. فشعور الأخت أنها مقدَّرة ومشجعة يفتح لك إلى نفسها باباً، وعلى العكس شعورها بأنها تُختبر سيدفعها إلى جفلةٍ عنك وشعور بانتقاص لها يجعلها منفعلةً منغلقة.

وانظر إلى هذا الحوار الراقي بين رسول الله ﷺ والسيدة أم سلمة - رضي الله عنها- والذي رواه الإمام أحمد في مسنده:

عن أم سلمة أن أبا سلمة لما توفي عنها وانقضت عدتها خطبها رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، إن فيَّ ثلاث خصال: أنا امرأة كبيرة. فقال رسول الله ﷺ: أنا أكبر منك. قالت: وأنا امرأة غيور. قال: أدعو الله - عز وجل - فيذهب عنك غيرتك. قالت: يا رسول الله وأنا امرأة مصبية[1]. قال: هم إلى الله وإلى رسوله. فتزوجها رسول الله ﷺ..».

وكذلك هذا الحوار الذي كان سبباً في إسلام صاحبه:

فهذه أم سليم تقول لأبي سليم - وذلك إنه خطبها- فقالت: «والله ما مثلك يرد ولكنك رجلٌ كافر وأنا امرأةٌ مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تُسلم فذاك مهرك وما أسألك غيره.. فأسلم فكان ذلك مهرها»[2].

ومن الخطأ أن تسألها عن معلومات وأسئلة في أمور الدين الفرعية، ذلك أن هذا الأمر لا يعبر غالباً عن الشخصية ولا عن

---

(١) مصبية: أي عندها أولاد صبية.

(٢) أخرجه النسائي وصححه عن ابن عباس وترجم له النسائي:«باب التزويج على الإسلام».

الالتزام، واحتمال الغرر فيه كبير، وتلك المعلومات تستطيع الكاملة أن تتعلمها وتعرفها فيما بعد، لكن سواها لن ينفعها مع جفاف روحانياتها وبهوت التزامها، أو مع صفاقة لسانها واستعلائها، تلك المعرفة المجردة.

التعبيرات غير المباشرة:

هذه الأسئلة ليس الغرض منها نفس الإجابة، إنما الغرض منها محاولة إخراج المكنونات عن طريق استدراج العقل في ردود الأسئلة، والتي تصطحب معها في الرد كثيرًا من الإشارات والدلالات التي نبتغيها أصلا بتلك الأسئلة.

وهذه الأسئلة ليست قوالب جامدة إنما هي مثال لأسئلة لا يراد الإجابة عنها بقدر ما يراد فهم اتجاه الشخصية نحوها، فنحن نقصد هنا إلى إكسابك المهارة، ومن تلك الردود تجتمع لك صورة، ويتكون لك اتجاه عام بالإقبال أو الرجوع.

فكل سؤال يكشف عن قطعة إذا وضعت في مكانها الصحيح بجوار غيرها اكتملت الصورة واتضحت.

ولا شك أن القطعة الواحدة بمفردها لا يُفهم منها شيء.

واليك بعضها:

السؤال	الردود الإيجابية	الردود السلبية	ملاحظات
هل تفضلي العمل بعد الكلية أم التفرغ للمنزل؟	والله أنا أقدر أعمل لو في احتياج لذلك، بس لو حضرتك لا تفضل ذلك، فمفيش مانع أن أجلس في البيت. أنا أفضل الجلوس في البيت...	الصراحة أنا مهيئة نفسي على الشغل، ولابد إنك تساعدني على كده.	إن إجابة هذا السؤال توضح مدى تقديس الزواج، ومدى تنازلها عن أحلامها إذا احتاج البيت إلى ذلك.
يا ترى ما هي مطالبك في الزوج الذي تودين الارتباط به؟	أن يتقي الله في زوجته، ويعاملها معاملة حسنة، **ويساعدها على طاعة الله**، ولا يظلمها، ويكون حنونًا عليها	ألا يضايقها، ولا يثقل عليها بالطلبات، ويسامحها، وينفق عليها، ويكون مهتما بالبيت.	هل هي متعاونة، تهدف إلى طاعة الله، أم تريد من يهدف إلى راحتها وطاعتها.

السؤال	الردود الإيجابية	الردود السلبية	ملاحظات
للأسف قد لا أستطيع شراء تليفزيون في الفترة الأولى، نظراً لأعباء وأقساط ما بعد الزواج.	طيب هل ممكن بعد ما نستفيق من مصاريف الزواج نشتريه. مفيش مشكلة، بس يا ريت يكون فيه ولو راديو في البيت.	هو في بيت الآن لا يوجد به تليفزيون. ولكن ماذا أفعل في البيت عندما تذهب أنت إلى العمل.	مدى ما يمثله التليفزيون لها في يومها، ومدى الاستعداد لتحمل المسئولية. .
لمن تحضرين الدروس، أو لمن تسمعين؟ وهل تتابعين برنامج الشيخ فلان.	أحضر للشيخ فلان وفلان، ولا أحضر للشيخ فلان وفلان لأني لا أميل إلى أسلوبهم، وتعنيفهم للناس	-عندي أشرطة للشيخ فلان وفلان، ولا أسمع لفلان وفلان لأني أشعر أنهم لا يفهمون شيئا في الدين، وحواليهم شوية جهلة. - لا والله أنا لا أحضر دروس ولم أسمع عن هؤلاء الشيوخ.	يبين هذا النوع من الأسئلة طريقة الانتقاد، ومدى معرفتها لأسماء أهل العلم المشهورين.

السؤال	الردود الإيجابية	الردود السلبية	ملاحظات
ما رأيك في من تلبس النقاب؟[1]	الصراحة هو خير بس أنا أشعر أنه صعب علي. يا ريت ربنا يكرمني وأقدر ألبسه. اللي أعرفه وقرأت عنه أنه سنة وليس فرض، ودا اللي أنا مقتنعة بيه. اللي أنا قرأته إن هو فرض على المرأة الفاتنة الباهرة، وأنا لا أظن في نفسي ذلك.	الصراحة أشعر إن اللي بتلبسه عاملة زي الغراب الأسود ومتشددة، ومش عارفة إزاي بيطيقوا الخيم دي عليهم. الصراحة أنا لا أستطيع لبسه بأي حال.	السؤال من أجل محاولة إدراك مدى عمق الخلفية الشرعية وسلامتها. وهل يوجد نبرة تعالي، أو انتقاد لاذع. ومدى تقرير الرأي أهو بذاتها أم بشرعها، وهل كلامها حُكم لا يقبل المراجعة أم لا. كما أنه يبين مدى تقييمها لجمالها.

(١) ليس مغزى كلامي هنا أن نخصك على المنتقبة دون غيرها، وإنما معرفة مدى العمق أو الضحالة في الاطلاع، ومدى ارتباطها بمراجعة الشرع في أمورها، وقد يعرف بهذا السؤال مدى تقييمها الذاتي لجمالها، ومدى مرونة الفهم لديها.

السؤال	الردود الإيجابية	الردود السلبية	ملاحظات
إن كانت أمامي فرصة للسفر فما هو موقفك تجاه الاغتراب إن دفعتنا الظروف إليه لفترة محدودة؟	أظن إن هذا شيء صعب، لكن ممكن عندما تسافر، انتظر هنا مع أهلي حتى تعود. شيء طبيعي إن الزوجة تكون مع زوجها في أي مكان.	لا والله دا شيء لا أظن إني أقدر أعمله.	قد يمثل السفر فيما بعد مشكلة فلابد من الاتفاق حول تلك النقطة والتي قد تعبر أيضا عن مدى تقديس الحياة الزوجية.
أنا الصراحة أضع للشبكة مبلغ ثلاثة آلاف جنيه، فهل يناسب ذلك المبلغ؟	دي حاجة ترجع لحضرتك وإمكانياتك. مفيش مشكلة. هذه هدية وليست حق. ممكن حضرتك تتكلم في هذه التفاصيل مع والدي.	- بس أنت مش شايف إن المبلغ دا قليل شوية، وبخاصة إن سعر جرام الذهب تعدّى المائة جنيه. - يعني الطبيعي إن الشبكة دلوقتي تبدأ من ٤٠٠٠. - دا أقل واحدة في عائلتنا شبكتها لا تقل عن أربعة آلاف جنيه.	هل تتفهم، وترحم، وتفهم الأصول، أم تقارن نفسها بغيرها، وتقديرها للأمور مادي.

ومن تلك التعبيرات التي تتعرف بها على المخطوبة، هي تلك الأشياء التي تسألك المخطوبة عنها، فتلك الأسئلة ولا شك تعطي ظلالاً حول طريقة تفكيرها وعقليتها، بل وأحياناً تلك الأولويات التي تضعها للموافقة على زوج المستقبل.

حدث أن ذهب أحد الشباب لزيارة إحدى الفتيات ليخطبها، وعند الجلوس معها عرّف نفسه، وعمله وأنه ينوي أن يعيش في شقة إيجار جديد... إلخ.

فإذا بالأخت لا تسأله عن شيء من تدينه ولا دعوته، ولكن سألت عن المرتب فقط وهل سيغطي تكاليف المعيشة بجانب إيجار الشقة المرتفع...

ومن التعبيرات الدالة على خبريتهم، مدى سؤالهم عنك بعد ذلك، وتقصيهم لحقيقة ما أخبرتهم به، وبخاصة سؤالهم عن مدى تدينك وصلاحك الأخلاقي، فإن الأسرة أو على الأقل الزوجة التي تلقي بنفسها إلى كل من طرق الباب وهبَّ ودبَّ هي أسرة سوء لا يحق لعاقل أن يرتبط بها.

إننا نبحث لك عن كنز، وليس عن شيءٍ رخيص.

فإذا أخبرك أحدهم أن أهل المخطوبة قد سألوا عنك وقد زكاك لهم... فاسأله: عن أي شيء سألوا، هل عن الأشياء المادية فقط أم

عن المال وأيضاً الخلق والتدين.

وكذلك إن استطعت أن تعرف من الوسيط شيئاً عمّن تقدم قبلك ولماذا رفضوه، دلّك هذا على معايير قد تؤثر على رأيك وتوجهك ولا شك.

لا أنسى قبل أن أنهي تلك النقطة أن أنبهك إلى أن تلك الدلالات ليست حجة لا تقبل التفاوت، ولكنها إشارات وتعبيرات إذا جُمعت إلى بعضها شكلت صورة نهائية تقترب من الاكتمال، وكذلك نلفت نظرك إلى أن تلك الأسئلة لا يمكن توجيهها جميعاً وتلك التعبيرات لا يمكن استقصاءها كلها إلا على النادر، لذا فاختر منها ما يليق ودع منها ما ترى به مجافاة لطبيعة الأمور والظروف.

العلامات والإشارات:

وهي أشياء يلاحظها الأخ المسلم فيما حوله من أركان البيت، وطريقة نظامه ومحتوياته، مما لا يدخل تحت التعبيرات الشفهية أو غير الشفهية من المخطوبة أو أهلها.

فمن العلامات التي تشير إلى الالتزام، ما هو طول الأظافر، ما هو موجود من لوحات أو استيكر قديم على الزجاج أو على باب المنزل يحمل حديثاً أو تذكرة أو دعاءً.

ادخل معها في حوار في مسألة شرعية بسيطة واطلب منها

إحضار أي كتاب فقهي أو رياض الصالحين، وقل لها: إنك تريد أن تتذكر حديثاً في هذا الشأن موجود بهذا الكتاب لترى هل عندها مكتبة أو كتب إسلامية ببيتها أم لا، فهل هناك ذات دين ليس في بيتها كتاب؟!

لغة الكلام ولوازم اللسان:

يقول عثمان رضي الله عنه: «ما أسرّ أحدٌ سريرةً إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

وكما قال الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً

(وكما شبه الأوائل اللسان بمغرفة ترفع من قِدر القلب ما يعتمل فيه:

وما الألسن إلا مغارف للأفئدة، تماماً كما رآها البارحة يحيى بن معاذ على حقيقتها، فوصفها لك، ونبهك إلى أن:

«القلوب كالقدور في الصدور، تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها، فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك من قلبه، من بين حلو وحامض، وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه: اغتراف لسانه».

تشبيه قد يكون ساذجاً كما يبدو لأول وهلة، لكن فيه روعة

الحقيقة، وصدق الوصف.

ما كذب والله وما غلط، ولم يتقدم بين يدي الله المستأثر بعلم ما في الصدور، لكنها فراسة الإيمان: تسمع حركات اللسان وتميز نغماته، فترى الذي يجيش بين الضلوع)[١].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.

فانظر إلى كلامها غير المتكلف ولا المقصود، مثال ذلك تلك اللوازم القولية الإسلامية مثل «جزاكم الله خيراً»، «بفضل الله »، وكلمات الاحترام مثل «حضرتك ».. وغيرها، ولا تكن كالمنخل يمسك الشر ويترك الخير منه يسقط، ولكن تنبّه إلى الخير والشر على السواء.

وكذلك عليك أن تنظر إلى التلقائية وعدم الانتظار لتهيئة الجواب بقلّة الوقت بين السؤال وجوابه، مما يعني سلامة الضمير والبعد عن الخبث، ولكن لا تأتي التلقائية منذ بداية الحديث وإلا كان دليلاً على التسيُّب، ولا بأس أن تأتي التلقائية بعد ذلك، أو الانطلاق أحياناً، وبخاصة إذا ما ساعدت سعة الثقافة صاحبتنا، وكانت في مرحلة المراهقة والتي يغلب عليها الطلاقة، ولم تقيدها وتلجمها الخبرات المكبتة.

---

(١) العوائق، للأستاذ محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة بيروت، ص١٠٩.

حكى لي أحد الشباب أنه رفض الارتباط بواحدة زارها فرأى في زيارتها أنها تقول لأبيها حين أراد أن يتكلم أثناء حديثها مع ذلك الشاب: «استنى أنت بس»، وتشير إليه بيده علامة على طلب الصمت وهي مقطبة الجبين، فعلم أنها تفعل ذلك مع أبيها، فكيف ستكون معاملتها له.

* * *

الفصل الثالث

بعد الذهاب

بناء العش

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين ؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾.. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾...

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر. ملبيا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد.

في ظلال القرآن (سيد قطب)

في الزيارة الثانية:

من أهم ما يجب أن تلاحظه في زيارتك تلك «أمها»، فهي صاحبة أكبر أثر في حياة تلك الفتاة، مهما طال التزامها، فهي لم تعايش امرأة في بيت أبيها غير أمها، ولم تر كيفية معاملة الزوجة زوجها إلا من أمها.

لذا لا بد عليك أخي الحبيب أن تسعى إلى أن تحاول معرفة مدى التزامها، ولا بأس أن تدلي بمعلومة استفزازية أمامها وهي تجلس مع زوجها لترى كيف تتدخل الأم، هل بصيغة الاقتراح، أم تنادي على زوجها بالخارج لتستدرك هذه النقطة معه بالخارج قبل تفاقمها، وذلك كله مؤشر خير.

أم أنها تقتحم الحوار، وتحاول أن تدير دفة الحديث وتستولي على مقاليد الحوار، ويكون إلغاءً لهذا الزوج، واعتراضاً سافراً عليه، مما يعني علامة سوء ولا شك.

ذهب أحد الخاطبين إلى بيت المخطوبة ليجلس جلسة الاتفاقات، ولما تكلم في أحد الأمور المادية، وحاول والد المخطوبة أن يتفاهم معه، إذا بالأم تقتحم الحديث اقتحاما وتحاول أن يكون صوتها أعلى من الجميع ولما حاول الزوج التدخل مهدئاً إذا بها تصرخ فيه وتقول له: استنى انت يا «أبو محمد »، والتفتت إلى صاحبنا وقالت له: «إيه يا بني اللي أنت بتقوله ده»، وهنا هدَّأ

الخاطب الحوار منسحباً وضرب على تلك الخطبة العفاء، ولم يرجع.

الاتفاقات:

(رفق – وضوح – مصداقية – التزام – منع الصدام بين العائلتين)

أخي الحبيب، ليست تلك الجلسة جلسة بيع سيارة يحاول كل طرف أن يزيد من مغنمه على حساب الغُرم الواقع للطرف الآخر، إنها جلسة توضح فيها إمكانياتك وتستوضح فيها إمكانياتهم وتحاول أن تتلاقى معهم في نقطةٍ وسط، بلا إفراط أو تفريط.

واسمح لي أن أقول لك أخي الفاضل: إنك في تلك الجلسة أشبه بطالب مساعدة أكثر من أن تكون طالب حق، فلا تتعسف، فإن الأصل أن على الزوج كل شيء في أمر نفقات الزواج.

كذلك أخي الحبيب نذكّرك بشيء مهم؛ وهو أنه كلما وضحت البنود ساعة الاتفاق، انتفى ولا شك الشقاق عند الاختلاف، إن كثيراً من المشكلات التي تقع في فترة الخطبة، بل إن كثيراً من مشاريع الزواج تفشل للهلامية وغياب التحديد والحسم، وإرجاء ذلك لما بعد، والاعتماد على الود والبشاشة والظن بأنها كفيلة وحدها لانتظام الأمر مهما حدث، وهذا خلطٌ ووهم.

لابد أن نفرّق بين الحق والفضل، بين العدل والتكرم، لابد أن تكون اتفاقاتنا صريحة واضحة في داخلنا وخارجنا، لابد أن نلتزم

بالشيء عن قناعة بنيتنا الجازمة أننا سنقوم به، ولابد من تنحية الحرج والخشية من هذا الاتفاق الذي سنلتزم به، وأن نوضح استطاعتنا الحالية وخطواتنا دون مواربة أو تدليس، وذلك كله لا ينفي ثقتنا بعون الله تعالى للناكح يبغي العفاف، ولكنه وضْع كل أمر في نصابه الصحيح.

انظر أخي الحبيب إلى ذلك النبي الكريم ذي العزم، الذي جاء به الرجل الصالح بعد جلوسه في الطريق، وعلِم بهروبه وأنه ليس له مأوى ولا عشير، بل ليس له من عملٍ ولا قوت، ويعرض عليه ذلك الرجل الصالح أن يزوجه من ابنته ويأويه في داره، فقال له: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي على أن ترعى غنمي ثماني سنين، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي الثمان كفاية، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي لا أشاقك ولا أؤذيك ولا أماريك....

وقوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلتَ من أنك استأجرتني على ثمان سنين، فإن أتممتُ عشراً فمن عندي فأنا متى فعلت أقلهما، فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط،

ولهذا قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي فلا حرج عليّ"[١].

فانظر رغم كل ذلك الإكرام من الرجل، إلا أن موسى -عليه السلام- أراد وضع النقط على الحروف، وإزالة أي غموض أو غبَش أو هلامية في الاتفاقات، ولم يدفعه شيء مما حوله إلى الخروج عن هذا المنهج القويم.

إن العالم يفسح الطريق للمرء الذي يعرف إلى أين هو ذاهب
رالف إمرسون

فما وافقني أحدٌ في اتفاق على كل ما أريد إلا وغلب الظن على أنه لا يقدر الأمر حق قدره، أو أن نية الوفاء مهتزةٌ لديه.

وليس الأمر عراكا نعرِّفك فيه كيف تتقي الضربات، أو مساومة نريدك أن تخرج منها بنصيب الأسد، ولكنا نقول لك وبصراحة: لن تفلح هذه الجلسة إن لم يكن هناك من يمتلك القدرة على التنازل والتحمل عن الطرف الآخر، إما الطرفان أو على الأقل أحدهما، وعار عليك أن تضيع هذا الكنز الذي وجدته (المرأة الصالحة) وتمضي وتتركها من أجل بعض المال الذي تملكه أو وعدك الله بإعانتك في تدبيره إن لم يكن موجوداً، فلا تجعل الشيطان يؤزك،

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير. اختصار الصابوني، المجلد الثالث، سورة القصص.

وإلا كان ذلك هو الخسران المبين.

واعلم أخي أن كثيراً ما يكون تمسك الأهل بما يطلبون وعجرفتهم نابعة من إثبات تقديرهم لابنتهم، وحبهم لها، وأنها ليست «بائرة». وأنهم لا يعطونها إياك إلا بعد أن تستشعر قدرها، وللأسف تكون المغالاة والتمسك بمطالبهم سبيلا إلى إثبات ذلك لك ولابنتهم على السواء، فأكثِر في تلك الجلسة من ذكر تقديرك لها، واعتزازك بالفوز بمثلها، وأن شيئاً من هذه المشتريات مهما غلا ثمنه لا يعدل مقدار اعتزازك بأخلاقها ودينها، إذا أكثرت من ذكر ذلك – صادقاً – وجدت كثيراً من اللين وقابلية التنازل من أهلها بإذن الله.

وطالما أن الاتفاقات ما زالت معقولة، ففوِّت على الشيطان تعكير هذا الصفو، أجزم لك يا أخي أن الله متكفلٌ بهذا الزواج، سيفتح لك باب الرزق بهذا الذي تحملته، بشرط أن يكون من أجل الفوز بالمرأة الصالحة بنية العفاف عما حرم الله.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف»**[1].

---

(١) سنن الترمذي، المجلّد الثالث، باب مَا جَاءَ في المُجاهِدِ والمكاتب والناكح وعون الله إيَّاهُم، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

ومن أهم النقاط التي لابد أن تراعيها أن تنسِّق مع أسرتك قبل جلسة الاتفاقات تلك، حتى إذا وصلت معهم لتصور أبلغت أهلها ولو بالهاتف بأسلوب رقيق بما في استطاعتك أن تأتي به، وقم بكل وسيلة مشروعة بتحاشي الصدام الممكن حدوثه باختلاف الفريقين في جلسة الاتفاقات، وبخاصة إذا علمت من أحد أطراف تلك الجلسة البخل أو العنجهية سواء في أبيك أو أبيها أو عمك وكبير العائلة لديك أو لديها، إن كنت تعلم أنه لا مناص من حضورهم تلك الجلسة التي نسأل الله تعالى أن يهونها عليك.

ولا بأس أن تجعل أخاك الوسيط يقرب ما بين وجهات النظر قبل لقاء الاتفاقات، فذاك الأخ الوسيط – كما قال الشيخ وجدي غنيم – هو الصخرة التي تتحطم عليها كثير من المشكلات والإحراجات.

ما يتفق عليه بصدق وصراحة:

١ – مواعيد الخطبة والشبكة والبناء.

ذكر لي أحد الشباب أنه نسي الاتفاق على هذا الأمر، وبدأ في وضع خطة لمفاتحة أبيها بهذا الأمر، وهو رغبته في العقد، وهي ما زالت طالبة في السنة الثالثة.

وكذلك من الأفضل أن يحدِّد موعد الزواج من الطالبة بمدة

وليس بفراغها من الكلية، حتى لا يتدخل الرسوب بشبحه المخيف في تنغيص ذلك الزواج، وبخاصة إذا كانت لها سوابق في الرسوب.

٢- القائمة والمؤخر.

٣- مقدار الشبكة وهل ستوضع في القائمة [1] أم لا.

---

(١) قائمة المنقولات... رؤية واقعية

تقول فتاة مسلمة: خطبني شاب له خلق فاضل، ولديه قدرة على تأسيس بيت الزوجية، واتفقنا على كل شيء يتعلق بالزواج إلا أنه أبى أن يكتب قائمة بما سيكون في بيت الزوجية من أثاث قد اشتركنا في شرائه، وقال: إن هذا بدعة، والمفروض أن تكون هناك ثقة بين الزوجين، وكتابة هذه القائمة تعبر عن فقدان هذه الثقة. هكذا قال، فهل صحيح أن كتابة القائمة بدعة؟ وهل صحيح إن كتابتها تعبر عن فقدان الثقة؟ وإذا أصرَّ على عدم كتابتها هل أقبله زوجاً أم أرفضه واستريح، ويأتي الله بمن هو أفضل منه وأعدل؟

فقال الدكتور محمد بكر إسماعيل:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

من المتعين على الزوج إعداد بيت الزوجية من ماله الخاص، وأن يقوم بإعطاء المرأة صداقها، فالزوج هو المسؤول عن ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ فالرجل هو الذي ينفق ويدفع المهر، وهو الذي يكلَّف بالنفقة. ولكن في بعض الدول جرى العرف على مشاركة المرأة الرجل في تأسيس بيت الزوجية من مهرها المعجّل، وتعد مشتريات الرجل من مهرها المؤجل، ثم يكتب كل هذا الأثاث في قائمة المنقولات، وهذا أمر لا بأس به شرعاً.

وأضاف فضيلته في فتوى أخرى:

قد جرى العرف في بعض الدول بأن المرأة لا تقبض مهرها من زوجها مُعَجَّلاً، ولكنها تجعل بعضه مُؤجلا، وتأخذ المُعجَّل منه في صورة مشتريات خاصة بتأسيس بيت الزوجية، وتُسهم معه في هذه المشتريات بقدر وسعه أو وسع=

=أهلها، فتصبح هذه المشتريات كلها من حقها ؛ لأنها مهر لها، وحينئذ يجب أن يُكتب ذلك كله في وثيقة ضمان يكتبها الزوج على نفسه، بحيث لو مات لا تدخل هذه المشتريات في الميراث، وبحيث لو طلقها يكون لها الحق أن تسترد هذه المنقولات المُسَجَّلة في القائمة، فهذه المنقولات تكون أمانة عند الزوج ودَيْناً عليه، فلابد أن تُكتب بها وثيقة تضمن لها حقها كاملاً.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ فكيف يقال: إن القائمة بدعة وهي واجب بنص الشرع؟ وكيف يُقال: إن كتابتها تعبر عن عدم الثقة؟ إن العكس هو الصحيح. وإني أوصي كلَّ زوج أن يضمن لزوجته حقَّها مكتوباً، وأن يوصي الورثة ألا يحرموها من هذا الحق.

قد يقول قائل: إن كتابة القائمة لم يكن موجودا في عصر الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم، فهي إذن بدعة.

أقول له: إن هذا العصر الذي نعيش فيه غير العصر الذي مضى، فقد كانت الأمانة متوفرة في الصحابة والتابعين، وكان الرجل يَحكمه دينه بخلاف هذا العصر الذي ضاعت فيه الأمانات، وخربَت فيه الذِّمم، وقد كانت الحياة في العصور الماضية بسيطة غاية في البساطة، وكان الزواج فيها مُيَسَّراً قليل التكاليف، وكان بيت الزوجية ليس فيه من المتاع ما يستحق الكتابة والإشهاد.

ثم إن كتابة القائمة من سنن العادات، وسنن العادات لا تدخل تحت البدع ؛ لأن البدعة طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الطريقة الشرعية بقصد المبالغة في التعبد، وهذا ما قاله الشاطبي في كتاب الاعتصام، فأي طريقة من طرق العادات لا تدخل في البدعة ما دام الشرع لا ينهى عنها، فإن نهى عنها فهي معصية وليست بدعة.

وكان من الواجب أن تقبض المرأة مهرها من الزوج قبل الدخول بها أو بعده، وتجعله خاصاً بها، وعلى الزوج أن يقوم بإعداد بيت الزوجية من ماله الخاص لا من مهره، ولكن العُرف مُحكَم كما يقول الأصوليون، فهي تضع مهرها في تأسيس بيت الزوجية من باب التعاون مع زوجها، فلا أقل من أن يكتب لها=

٤- تحديد ما سيقوم كل طرف بشرائه تحديداً واضحاً.

وقد وصل الأمر بالبعض إلى الكتابة حتى لا يُشتبه على أحدٍ

= زوجها قائمة بكل ما دخل بيت الزوجية من منقولات إرضاءً لها، وتطييباً لنفسها، ومبالغة في إعطائها الثقة في ضمان حقها. أهـ

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر – رئيس لجنة الفتوى السابق –:

لا مانع من تحرير قائمة الأثاث عند الزواج ضماناً لحقّ الزوجة، والمؤمنون عند شروطهم، فقد يكون الأثاث هو مقدَّم المهر وهو ملك لها، وقد يكون من مالها أو مال أبيها أو غيره فهو ملك لها أيضاً.

وأرجو ألا يكون هناك شَطط أو مغالاة في التقدير، وأن يكون الاتفاق على ذلك عند بدء الخطبة، حتى تُترك الفرصة للخاطب أن يفكر في ذلك فلعله لا يُوافق.

أما أن يكون الكلام عن القائمة عند العقد فغير لائق، فقد يفشل الموضوع، وتكون التعليقات اللاذعة.

وهناك تقليد في بعض الأرياف يأبى أن يأخَذ وليُّ الزوجة قائمة بعَفشها، مردّداً هذا القول الجميل: أؤمِنك على عرضي، ولا أؤمنك على عَفش !

يعني أنَّ وليّ الزوجة جَعلها أمانة عند زوجها، يرعاها ويَصونها ويُكرمها، ولا يعمل ما يُؤذيها ولا يُؤذي أهلها ماديًّا أو أدبيًّا، وهذا شيء كبير وحمل ثقيل لا ينبغي أن يُنظر بعده إلى متاع مهما كانت قيمته، فهو أمانة صغيرة جدًّا بالنسبة إلى الأمانة الكبيرة على الزوجة ماديًّا وأدبيًّا.

فهل تعُود هذه القيم الرفيعة مرة ثانية؟ ذلك شيء يحتاج إلى تربية دينية صحيحة. وحفاظ على التقاليد الأصلية المشروعة.

والله أعلم

موقع إسلام أون لاين، فتوى رقم ٤٠٤٠٣.

– وقد قمت بسؤال فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب عن حكم قائمة المنقولات فأجاب فضيلته أنها إذا كانت تحافظ على حقوق الزوجة فمطلوبة.

بعد ذلك، ولذلك يا أخي عليك بالتحديد فلا تقل كلمات مطاطة مثل الأجهزة الكهربائية، وإنما قل ثلاجة ومكواة ومروحة وهكذا.

٥- ثمن الأثاث التقريبي.

وذلك يقي أن يأتي أحدهم بأثاث دون المستوى بكثير، والاسم أنه أدى ما اتفق عليه، فلقد كان من المفترض أن يأتي أحد الآباء بغرفة السفرة لابنته، ولما ثقل عليه الاتفاق أراد أن يشتري لها غرفة دون مستوى ما أتى به الزوج بكثير، ولكن الزوج كان واسع الصدر فاستأذنه أن يأخذ منه ذاك المبلغ ويضع عليه بعض المال ليشتري به أنتريه ثاني، وغيّر فكرة السفرة تماماً.

٦- تكاليف حفلات العقد والزفاف ووجود فرقة من عدمه وعلى من تقع الأولى وعلى من تقع الثانية.

٧- كون الفرح إسلامي في كل حفلاته، سواء كان عندهم أو عندك (خطبة - كتاب - بناء).

ويكفي الاتفاق على هذه البنود تاركين ما يزيد عن ذلك للذوق العام ومراعاة الظروف، ولسعة عقلك أيها الزوج الكريم، من المناسبات والهدايا فيها، والمجاملات لأهلها في زواج أو مولود جديد أو تأجير لأي من مستلزمات أخرى لهذا الزواج المبارك إن شاء الله.

والشيء بالشيء يذكر، فإذا كان يوم شراء الشبكة [1] فلا

---

(١) قمت بسؤال فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب عن حكم الدبلة الفضية للرجال، فقال: لا يوجد ما يحرمها.

وسُئل الشيخ عطية صقر:

هل صحيح أن دبلة الخطوبة بدعة وحرام؟

خاتم الخطوبة أو الزواج له قصة ترجع إلى آلاف السنين، فقد قيل: إن أول من ابتدعها الفراعنة، ثم ظهرت عند الإغريق، وقيل: إن أصلها مأخوذ من عادة قديمة، هي أنه عند الخطبة توضع يد الفتاة في يد الفتى، ويضمهما قيد حديدي عند خروجهما من بيت أبيها، ثم يركب هو جواده وهي سائرة خلفه ماشية مع هذا الرباط حتى يصلا إلى بيت الزوجية، وقد تطول المسافة بين البيتين. ثم أصبحت عادة الخاتم تقليداً مرعيًا في العالم كله.

وعادة لبسها في بنصر اليسري مأخوذة من اعتقاد الإغريق أن عرق القلب يمرُّ في هذا الإصبع، وأشد الناس حرصاً على ذلك هم الإنجليز وقيل: إن خاتم الخطوبة تقليد نصراني.

والمسلمون أخذوا هذه العادة، بصرف النظر عن الدافع إليها، وحرصوا على أن يلبسها الطرفان، ويتشاءمون إذا خلعت أو غير وضعها، وهذا كله لا يقرُّه الدين.

والمهم أن نعرف حكم لبسها.

أما اللبس في حد ذاته فليس محرماً حيث لم يرد نص في التحريم، ولم يقصد التشبُّه بالكفار، فالتشبه ممنوع وبخاصة إذا كان في معنى ديني لا يرضاه الإسلام، ثم نقول: إن كانت الدّبلة من فضة فلا بأس بها للرجال والنساء، أما إن كانت من ذهب فهي حرام على الرجال حلال للنساء، وذلك لعدة أحاديث وردت في ذلك، منها حديث رواه الترمذي بإسناد حسن: «**حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم**» وحديث مسلم: «**ونهانا عن خواتم — أو عن تختم — بالذهب**» وحديثه أيضاً: «**يعمد أحدكم إلى جمرة نار فيجعلها في يده**»؟ وذلك =

تذهب معهم ومعك فائض كبير من المال يفوق ثمن الشبكة، فإن للذهب بريقٌ لا يقاوم في أعين النساء خاصة، ولا شك أن الضعف سيستولي عليهن ساعتها، وحب المقارنة والتباهي، وستكون أنت الضحية الوحيدة في زيادة ليست في أولوياتك ولا حسبانك.

ولا يحق بحال أن تلغي القائمة بين الأقارب فإن هذا حق خالص للزوجة، ولا يحق أيضاً الشغار، والشغار: هو أن يزوِّج الرجلُ ابنته أو أخته أو غيرها ممن له الولاية عليها، على أن يزوج الآخر ابنته أو ابنة أخيه أو أخته من غير صداق بينهما، ويسمى التبادل بين الطرفين.

فعن ابن عُمَرَ: «أنّ النبيّ ﷺ نَهَى عنْ الشّغَار»[1].

ولابد أن تعلم – أخي الحبيب – أن المغالاة لا تكون أبداً دلالة على خير، فهي لا تدل عند التحقيق على تقديرك لها، وهي لا تدل على علو قدرك فكم من ماجناتٍ صداقها أكثر مما صادَقت عليه

= عندما رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه.

ومن أراد التوسع في معرفة تاريخ الدبلة والباعث عليها والعبارات المكتوبة عليها وغير ذلك فليرجع إلى الجزء الأول من كتابنا « موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ». موقع إسلام أون لاين، فتوى رقم (١١٦٠٤).

(١) رواه الترمذي، كتاب النكاح – بابُ ما جَاءَ في النهي عنْ نكاح الشّغَار، الحديث رقم (١١٢٠).

امرأتك بأضعاف، وكم من سطحيّ ساذج يملك أضعاف ما تنوء أنت بحمله.

واعلم أن المغالاة سبيل تولد البغضاء وإطلاله بعنقه على هذا الزواج، روى ابن ماجة أن عمر بن الخطاب قال: «لا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاء فإنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةٌ فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ الله كَانَ أَوْلاكُمْ وأحَقَّكُمْ بهَا مُحَمَّد - ﷺ- مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلاَ أُصْدِقتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتيْ عَشْرَةَ أوقِيَّة، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقة امْرَأتِهِ حَتَّى يَكونَ لهَا عَدَاوَةٌ في نَفسِهِ وَيَقولُ: قَدْ كَلِفتُ إلَيْكِ عَلَقَ القربة»[1].

(لا تُغَالوا) أي لا تُبَالِغُوا في كثرَة الصداق....(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدقة امْرَأتِهِ حَتَى يكونَ لهَا عَدَاوةٌ فِي نفسه) أي حتى يُعَادِيَهَا في نَفسه عِنْد أدَاء ذلِكَ المَهْر لِثِقلِهِ عَلَيْهِ حينَئِذٍ أَوْ عِنْد مُلاحَظَة قدْره وتَفَكُره فيهِ.

... (وَيَقُولُ قدْ كلِفتُ إلَيْكِ علقَ القُرْبَةِ) حبل تُعلق بهْ أيْ تحمَّلت لأجْلك كلّ شَيءْ حَتى الحبل الذي تعلق به القربة أ.هـ[2].

* * *

(١) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٣٢).
(٢) من حاشية السندي على ابن ماجه.

وماذا بعد:

صفات أساسية لابد من التأكد منها في تلك الفترة.

(المعايشة للتدين وليس مجرد تضخم الثقافة – الطاعة – القناعة – تحمل المسئولية – الصدق)

– لتعلم أخي الحبيب أنك ما زلت إلى الآن لم تتزوج، وأنه قد تُركَت لك فترة أكبر للاحتكاك والحكم الصحيح، فإياك أن تنسى ذلك، وتقضي الخطبة مفكراً كيف تلمِّح بالحب، وكيف تهيم في الوجنات، وما هي الهدية في المرة القادمة، وماذا سأقول لها في المكالمة التالية، وتغفل عما يظهر لك من إشارات الخير أو الشر على السواء، فلابد أن ينعقد قلبك في نهاية تلك الفترة على أمر لا هزل فيه، أن هذه المرأة هي نعم الزوجة والصاحبة والخليلة، وأنها نعم الأم لولدي، والرفيقة لي في دربي [١].

---

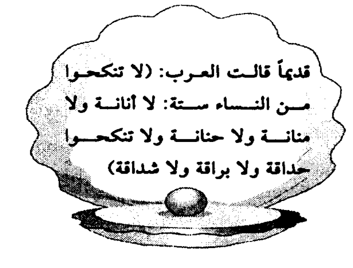
(١) يقول الإمام الغزالي في الإحياء في خصال المرأة المطيبة للعيش:«حسن الخلق: وذلك أصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فإنها إذا كانت سليطة بذيئة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يُمتحن به الأولياء قال بعض العرب: (لا تنكحوا من النساء ستة: لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حدّاقة ولا برّاقة ولا شدّاقة) أما الأنانة فهي التي تُكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه، ولامنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت =

إنك إذا تركت تلك المخطوبة لظهور تدني في درجة تدينها أو عيب قد خُدعت فيه بتدخل أو بتقصير أو خبث منها لا يمكن التغاضي عنه فإنك بهذا لا تكون مخادعاً.

صحيح إن الخطبة هي وعد بالزواج ولكنه وعدٌ قائمٌ على صحة ما رأيت وعدم الغش فيما تأسس عليه هذا الزواج، لمن بها صفات حقيقية أظهرتها، ولم تخدعك، فإذا بان العوار، وظهرت المساوئ والخديعة ولم يكن ثمة خير مما ادعت تلك المخطوبة في بادئ الأمر فلا لائمة عليك في النجاة من هذا السبيل.

قال ابن قدامة في المغني:«ولا يكره للولي أو للمخطوبة أو للخاطب الرجوع في الخطبة إذا رأي أيهم المصلحة في ذلك، وإن كان ذلك خلاف مقتضى الوفاء بالوعد؛ لأنه عقد عُمري يدوم الضرر فيه».

=لأجلك كذا وكذا، ولاحنانة التي تحن إلى زوج آخر، أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه، والحداقة التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه، وتكلّف الزوج شراءه، والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء، وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده، والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله ﷺ: **«إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين»**.



- انظر إلى طريقة كلامها لوالدها، وانظر كيف تقيّم هذا الوالد حين تطلب منها تقييما له وإبداءً لرأيها فيه.

- اسألها ماذا يكون حال البيت حين يثور صاحبه، وماذا تفعل إذا غضب منها أبوها.

- انظر إلى حال الأم مع الأب، ومقدار التدين في الأسرة، مع العلم أن البعض قد يشذ، ولكن على أن يبقى نادراً مقبولاً، فهل يصل الأمر بأبيها مثلا إلى أن يتركك معها ويغلق الباب عليكما ولا يستحي، ولا تنهض المخطوبة فزعة لتدارك هذا الأمر.

- ماذا لو دخل ابن خالتها أو ابن خالها عليكم وأنتم جلوس، هل يتملكها الحياء وتقوم، أم ترد السلام وتسأل في اقتضاب، أم أنها إذا سمعت بمجرد عزمه على الدخول فرت مستأذنة. أم ستطيل الكلام معه وتسترسل معه في الحوار والمسايرة والسؤال والجواب بل والمزاح.

- حاول أن يدور حوار حول مصروفها؛ لتعرف مقداره، وحاول - بتلطف- أن تعرف ما هو منهجها في الإنفاق، وما هي أولوياتها فيه، وما مقدار ميلها إلى التفاخر والتباهي، وهل في

مقدورك أن تجعلها تعيش في مستوى قريب مما هي فيه أم لا؟

-أخبرها – إن كان ذلك موجوداً – أنك سوف تتحمل بعد زواجك نفقة تجهيز أخواتك البنات للزواج، وقد يؤدي ذلك إلى تأخير كثير من الرفاهيات، وانظر إلى ردها، أهو موافقة سلبية، أم تشجيع لك واعتزاز بك، أم اشتراط عليك بعدم التقصير في جانبها.

-نختم كلامنا هذا بأن نخبرك أنه إذا طالت الفترات بين الزيارات بشكل كبير، كان ذلك أحرى إلى قبول وساوس الشيطان بأن الخاطب لا ينجذب إليها، وأن تلك الزيجة «تحصيل حاصل»بالنسبة لك، وليست تغييراً كاملاً تنجذب إليه بكل كيانك كما هو الحال عندها، مما يقلقها أو يزهدها فيك.

الأسئلة الاستفزازية:

خلصت كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية إلى أنك إذا أردت أن تعرف مدى مرونة الشخص، ومدى قبوله للآخرين، ومدى صلاحية الارتباط في أي أمر... فقد اتفق كثير من العقلاء على: «أن تخبره بشيء عكس ما يتمسك به بصيغة استفزازية »، فإذا انفعل أو علا صوته أو رماك بالجهل والحماقة فهذا نذيرُ شر وعلامة سوء، وإذا تنازل عن مسلَّماته بالكلية ولم تلمح منه شيئاً من نفرة عن ذلك فإنه مساير هلامي، ولكن الصحيح الصالح هو أن يكظم ويستفهم، ويحاول الشرح ويراجع في أدب.

وكذلك فإن الزوجة لا يُطلب منها أن تلغي شخصيتها، ولكن لابد لها أن تعلم هل تحترم عقلية الآخرين أم لا، ما هي طريقتها للاعتراض على ما تتأكد من خطئه، ما هي نبرة صوتها وتعبيرات وجهها حينئذ، ومن ذلك سوف تستشف مدى تقديرها للزوج وللزواج فيما بعد و احترامها لرابطته بشكل عام وكذلك كيفية معالجتها للأمور.

– انظر إلى خطيبتك حين تظهر لها امتعاضك وضيقك من أسلوبها أو موقف لها، هل ستحرص على أن تسترضيك، أو تشملك بروح العتاب الرقيق، أم أنها ساعتها ستثور لكبريائها، وتلقي عليك باللائمة، أي بمعنى أوضح هل هي ممن إذا خاصم فَجَر، أم إذا خاصم حافظ وغفر.

إلى أي شيء تدفعها أمها حين ذاك هل ستدفعها إلى استرضائك، ومعرفة سبب انقطاعك، أم ستتصل بك الأم بنفسها، أم ستقويها عليك، وتحرقك بنظراتها النارية حين تراك، وتلوم عليك بعنفٍ على ما فعلتَ مع الجوهرة المكنونة، والمدللة الملعونة.

– عندما تستشعر شيئاً من الانفتاح والقبول بينكما اسألها في حضور والدها أو والدتها هل يوجد لديها مرض مزمن، أو أي حروق، وذكرها في تلك الأجواء الصافية بخطورة كتمان ذلك، وأنه أمانة تحاسب عليها في الدنيا والآخرة.

إنها لا تتجمل ولكنها تكذب:

عندما يُسأل شخص عن شيء واحد عدة مرات، وبين كل مرة ومرة زمنٌ بعيد، ومع اختلاف المدخل الذي يأتي منه السؤال عن نفس الموضوع، عندئذٍ إذا اتحدت إجابات المسئول دائماً دلّ ذلك على صدقه ولا شك، وإن اضطربت وتباعدت فهنا يكمن الخطر.

لذا فعليك أن تختبر المصداقية بسؤالها عن أشياء ثم إعادة سؤالها عنها بعد ذلك بفترة، ويراعى مهارة السؤال حتى لا تماثل بين القديم والجديد.

حدثنا سويد عن مالك عن صفوان بن سليم أنه قال: «قيل يا رسول الله، أيكون المؤمن جبانا؟ قال نعم، فقيل له أيكون المؤمن بخيلا؟ قال نعم، قيل له أيكون المؤمن كذابا؟ قال لا»[1].

- «ولما كان النظر وحده لا يكفي في التعرف على الصفات التي يبتغيها الرجل في المرأة التي يود أن تكون شريكة حياته وربة بيته فله أن يسلك في التعرف عليها مسالك أخرى، مثل الجلوس معها والتحدث إليها في أمور الدين والدنيا، فإن ذلك يكشف له ولا شك عن مدى ثقافتها وخبرتها بشئون الحياة ومدى فهمها لما يجب لها وما يجب عليها، إلى غير ذلك من الصفات الخُلقية التي لا يكشف عنها

---

(١) ذكره السمرقندي في كتاب تنبيه الغافلين: باب الزجر عن الكذب.

النظر إلى وجهها وكفيها.

ولكن لا يجوز أن يخلو بها؛ لأن الخلوة بالأجنبية ممنوعة شرعاً...

وله أن يخرج معها في زيارة أحد الأقارب أو الأصدقاء بصحبة محرم منها كأبيها أو أخيها، فإن الخروج معها قد يكشف له عن جوانب أخرى غير التي اكتشفها بالجلوس معها والتحدث إليها في بيتها»[1].

لا تكمل شفقة:

ومما هو مقرر في أمر الزواج أنه لا يكمل أحدٌ سيرَه في زواجٍ شفقة، بمعنى أنك إذا تبين لك ما يغلق قلبك من الاستمرار في هذا الزواج، ورأيت لذلك مبررات **مادية** ملموسة تؤكد عدم التوافق والقبول، ولم يكن الأمر هواجس شيطانية أو ملل لطول المُدة أو لتكرارٍ نمطي في زيارات الخطبة.

إذا وجد الأخ ذلك فعليه باستشارة حكيمٍ ذي خبرةٍ أمين، يقيّم

---

(١) الفقه الواضح د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الجزء الثاني، ص٢١.
وقد سألت فضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب عن حكم الجلوس مع المخطوبة في وجود محرم فأجاب فضيلته: أن ذلك حلال ومطلوب أن تكون الزيارات محدودة في الوقت والفترة بين الزيارات وبعضها متباعدة.

الأمر برمته، فإن دله على خطأ الاستمرار، فلا تصده الشفقة، ويقول في نفسه: كيف أخرج بعد أن تعلّقت بي، وكيف سيكون حالها بعد ذلك، أو بعد كل ذاك الوقت في الخطبة أُنهى الأمر، وما رؤية الناس لها إن أنا تركتها، وبعد أن صار عمرها كذا وكذا... إلخ، فلابد من الموازنة بين العاطفة والعقل.

إذا عز أمر فاستشر فيه صاحباً   وإن كنت ذا رأي تشير على الصحبِ
فإني رأيت العين تجهل نفسها   وتدرك ما قد حل في موضع الشهبِ

لا أريدك أن تقول لي: إنني أشفق عليها، إنني أستحي بعدما أكرمني أهلها ودخلت بيتهم، إن عمرها قد صار كذا وكذا، أو تقول: إني ألمح منها التعلق العنيف بي وأخاف عليها من الأذى النفسي... إلخ.

لكم رأي المصلحون بعد وقوع الزواج وخفوت العاطفة شقاقاً لا يجدون له رصيداً من الود يرتكنون إليه، وفتقاً لا يجدون له راتقاً، فعواقب الانفصال الآن لا توازي أبداً المأساة التي ستقع بعد الزواج إذا استحكم النفور، أو إذا انتهى بموت تلك الأسرة بالطلاق.

يقول الإمام البنا - رحمه الله -: ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأججوا نظرات العقول بلهيب العواطف.

كذلك لا تقبل أن تكمل رغم رفضها لك، وإخبارها لك بعدم

قبولها بعد أن كانت مقبلة في بادئ الأمر، مهما ادعى أهلها أن عليها جِنّ !!، أو أن بعض الناس دبر لها سحراً، أو أن صديقاتها قد أفسدن عليها، أو كلام من هذا القبيل، فعليك أن تحترم تلك الرغبة منها بالانفصال أيًّا ما كانت البواعث، وإلا...

وتذكر جيداً: إن الانفصال بعد الكتاب يجعلها مطلقة، ويجعلك مطلق، مما يعكر بداية الحياة لكما جميعاً وليس لها فقط، فليس من السهل أن يُقدم والد بعد ذلك على قبول مطلق ليزوجه ابنته ويجعلها تحت طائلة التجربة.

همسة بيان:

وهنا لابد أن نهمس في أذنك بشيء مهم، إن من الصعب أن تجد امرأة ليس بها عيب، ولكن من العيوب ما يقبل ومنها ما لا يقبل بوجه عام، وهناك ما تقبله أنت ولا يطيقه غيرك بوجه خاص، فقد ساعدناك قدر استطاعتنا على إدراك الخير والشر فيمن تعزم على الزواج منها، فانظر بعقلانية ماذا تستطيع قبوله وماذا تستطيع التعايش معه وماذا لا يمكن قبوله فيها.

إن أنت لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

من ذا الذي تُرضي سجاياه كلها كفى المرء نُبلاً أن تعدَّ معايبه

كل ذلك عن الحالة الراهنة، **لا على اعتبار ما سيكون، ولا ما**

نأمل، ولا ما وعدّتك به تلك المخطوبة من تغـيير في شخـصيتها أو خُلقها، نسأل الله لنا ولك العصمة والرشاد.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ: **«كمل من الرجـال كـثير، ولم يكمـل مـن النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**[1].

***

(١) صحيح البخاري، الجزء الثاني، كتاب الأنبياء. الحديث رقم ٣٢٣٠.

بناء البيت

إذا اختـــل شـــيئاً بنـــاءُ الأســـاس تضاعف في الـصرح ذاك الخلـل

تعال أخي ننفض عن كاهلنا آثار تلك الرحلة، ونلتقط أنفاسنا، ونحوِّل معك لغة الكتاب إلى الرقة بعد طول الألفاظ الحاسمة الجادة.

يجمل بنا أن نـضع صـورة للعلاقـة الإسـلامية لكـم في بيـتكم الجديد، فقم أخي بعمل نموذج لجلسة المنزل مـع خطيبتـك، فعليـك أخي أن تُحضر لزوجتك موضوعات وتحاول فتحهـا بطريقـة لبقـة. وتتجاذبان أطراف الحديث والحـوار فيهـا، دون أن تـشعرها أنهـا في حلقة علم، أو تلزمها بتحضير ومدارسة، أو تملّها بكثرة هـذا الأمـر ولكن اجعلها متفاوتة بقدر ما تلمح قبولا.

لا تجعل همك أن يكون أول كلامك هو ما يؤكـد أنـك «سـي السيد»، وتظل تلقي إليها بالتحذيرات من غضبك، وافتخارك بأنك ساعة الغضب تكون شيئاً آخر ولا تَلي على شيء، فواعجبـاً كيـف يفتخر المرء بنتنٍ يحيا بداخله، أو ضعف أمام ثورته، والشديد هو من يملك نفسه عند الغضب كما قال المعصوم ﷺ.

عليك أن تبدأ معها مدارسة آيـات مـن كتـاب الله، ولا تجعلـها جلسة قراءة فلربما سبّب لها ذلك الخوف من معرفة توقيت الحـيض،

وهذا ما يعكر نفسيتها بجانب التعكير الذي يسببه ذلك الأمر أصلاً.

ومن الموضوعات المهمة التي تناسب تلك الفترة:

النية في الزواج، فضل الأم ووجوب طاعتها، كيف يكون البيت نموذجاً للبيت المسلم، وجوب تحري الحلال من الكسب والمعاملة وأن تدفع الزوجة زوجها إليه، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، كيفية تربية الأبناء، إدارة المنزل والموازنة بين متطلبات المنزل وحقوق الزوج، الاقتصاد والوسطية في الإنفاق، السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- وقصة زواجها من علي - كرم الله وجهه- وصية أم لابنتها يوم الزفاف [1]، أهمية اتباع الشرع

(١) **وصايا أم لابنتها ليلة الزفاف:**
أوصت "أمامة بنت الحارث" ابنتها "أم إياس" قبيل زواجها من الحارث بن عمرو ملك كندة فقالت:
أي بنية! إنك فارقت الحواء الذي منه خرجت، وخلّفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه إياك رقيباً ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.
أي بنية! احفظي له عشر خصال يكن لك ذخراً وذكراً.
فأما الأولى والثانية- الصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.
وأما الثالثة والرابعة- التعهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب الريح.
وأما الخامسة والسادسة- فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه. فإن حرارة الجوع مَلهبَة، وتنغيص النوم مغضبة. =

والتحرر من قيود الناس[1]، السعادة في الإسلام.

وذلك خير من أن تبقى كل زيارة تهيم بنفسك بين يديها، وتضيع حسناتك بإعلامها بما خفي عنها من مآثرك، وتبالغ وتذهب بنفسك، فهذا ليس فقط مما يضيع الأعمال أو يقلل من ثوابها، ولكنه أيضاً إذا استمر وطال فهو مما يعجّل بالسأم والملالة، ويمحق

= أما السابعة والثامنة- فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله؛ لأن الاحتفاظ بالمال من حسن الخلال، ومراعاة الحشم والعيال من الإعظام والإجلال.

أما التاسعة والعاشرة- فلا تفشي له سرًّا، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي - مع ذلك - الفرح بين يديه إذا كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً.

وكوني أكثر ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة.

واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت.

(١) تحكي كتب الحكمة عن قصة جحا وولده والحمار، والتي أراد جحا أن يعلم ابنه فيها ألا يتبع كلام الناس لأنهم لن يعجبهم شيء، فلقد ركب جحا ومشى ابنه فانتقد الناس ذلك الأب الغليظ الذي يركب ويجعل ابنه يسير في ذلك القيظ، ولما أركب ابنه ومشى هو، انتقد الناس ذاك الابن المتبجح الذي يركب ويترك أباه يمشي، ولما ركب الاثنان على الحمار انتقد الناس قسوتهم بركوبهما على الحمار معاً والإثقال على ذاك الحيوان، ولما مشيا وتركا الحمار فارغا اتهموهما بالجنون وكيف أنهما يمشيان والحمار فارغ....

البركة من تلك الجلسات.

إن الأيام والمواقف والمعاشرة كفيلة بأن تريها ما فيك من خير، وما عندك من مفاخر.

وإياك والخداع ومبهرج الكلام، فقد تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت، لكن من المستحيل أن تخدع كل الناس كل الوقت – كما سبق القول.

لا تعامل خطيبتك مثل صاحبك، فتتعامل معها برسمية وما توجبه حقوق الصداقة دونما أن تستشعر هي سعادتك بهذا الارتباط، وإياك أن تقول لها: إني نسيت موعد الاتصال بك، وتتركها تنتظرك بجوار التليفون لساعات، وإذا وجدتَها حزينة بعد ذلك النسيان فلا تحرقها بقولك: «أنا لا أفهم لماذا كل هذا الحزن »، أو «ليست العلاقة الطيبة بالزيارات»أو أن تغيب عن عيادتها إذا مرضَت، فهذا الأخير يُحفر في الذاكرة ولا يُنسى بسهولة.

– لابد أن نوصيك هنا أن لا تُسقط هيبتك ولا تزيل التكليف بالكلية بينك وبين مخطوبتك عن طريق حركات طفولية تصدر منك، فلهذا الأمر مردودٌ عليها، وعلى أهلها، وعلى سير الزواج بأكمله، فإنك قد تُخرج منها بهذا الانفتاح في العلاقة مالا يليق بتلك الفترة من المزاح أو الانتقاد، وما سينعكس عليك بالسلب في درجة تقديرك لها وتقديرها لك، والأهل إذا شعروا كذلك بخفَّتك وبعدك

عن الاتزان والعقلانية ربما خافوا عليها منك، وطُلب منك الاختصار في الزيارات وقتاً وعدداً، وهو ما سيسبب لك حرجاً أنت في غنىً عنه كبير، بل ربما إذا اجتمع هذا الأمر مع شيءٍ من الطمع لدى أهلها، جربوا معك استغلال هذا الأمر فيك بطلب شيء زائد لم يتفق عليه، أو إحالة شيء من التزاماتهم عليك.

وسيُلقي هذا الأمر بظلاله وقيوده عليك حتى بعد العقد.

وهذا الأمر لابد أن لا يفارق العلاقة بينكما أبداً حتى بعد طول الزواج.

«قال ابن المقفع: إذا أقبل عليك مقبل بودّه فسرّك ألا يبعد عنك فلا تمعن الإقبالَ عليه والتوددَ له، فإن الإنسان طُبع على ضرائب لُؤم، فمن شأنه أن يترحل عمّن التصق به، ويلتصق بمن ترحل عنه»

كما نوصيك بهذا الأمر إذا كنت تريد أنٍ يفكّوا الوثاق عنك في فترة ما بعد العقد ويَدَعوها تخرج معك.

وبالجملة فإن احترامك للمعايير والقيم في تلك الفترة، يؤمِّنهم على ابنتهم فيما بعد ذلك من فترات، فراعي الكلمة والزيارة والذوق، وإياك أن تدخل البيت وليس به محرم، حتى ولو دعوك لذلك وألحّوا في دعوتهم فإن الأمر قد يوقعهم في حرجٍ وضيق، فاعتذر وارجع حتى يأتي صاحب الدار أو من ينوب عنه من المحارم

وأخبرهم أنك تنتظره بالمسجد حتى يأتي [(١)]، وإن أخبروك أنه لن

---

(١) فتوى المحارم من الرجال نقلا عن الشبكة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف القطرية والواردة بموقع إسلام أون لاين بتاريخ ٢٨ إبريل ٢٠٠١

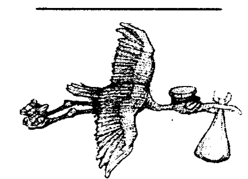
نص السؤال:

السلام عليكم: هل خال أبي وعم أبي وخال أمي وعم أمي يكون أحدهم محرماً لي أم لا ؟ وهل يعتبرون ممن قال عنهم الله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ نرجو توضيح ذلك وبيان العلاقة بين أقرباء الزوج أيضاً مثل عم الزوج وخاله.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فالمحارم من الرجال على المرأة يقصد بهم أقارب المرأة الذين تحرم عليهم تحريماً مؤبداً، فلا يحلون لها بحال من الأحوال، أو في وقت من الأوقات، ويجوز لها إبداء زينتها أمامهم نظراً للضرورة الداعية إلى المخالطة والمداخلة والمعاشرة، ولأن الفتنة – غالباً – مأمونة من جهتهم، وهم:

١ – الآباء: وكذا الأجداد، سواء كانوا من جهة الأب أو الأم. ٢– آباء الأزواج. ٣– الأبناء وأبناء الأولاد وإن نزلوا. ٤– أبناء الأزواج وإن نزلوا. ٥– الإخوة مطلقاً، سواء كانوا أشقاء أم لأب أو لأم. ٦– أبناء الإخوة والأخوات وإن نزلوا. ٧– الأعمام وكذلك أعمام أبيها، وأعمام أمها وإن علوا. ٨– الأخوال وكذلك أخوال أبيها وأخوال أمها وإن علوا. ٩– المحارم من الرضاع: وجميع ما سبق من المحارم إن كان من رضاع فإنه يكون من المحارم للمرأة فيحرم عليها=



يأتي إلا متأخراً، فارجع ولا تدخل ولو طال بقاربك السفر واستبد بك الشوق.

- لابد أن يكون لزوجتك المستقبلية جلسة أسبوعية تتذكر فيها مع قريناتها أمر دينها، فلابد أن تعلمها أن الذهاب إلى جلسة المسجد، أو أي لقاء إيماني، هو ما يحيي قلبها وينمي إيمانها، ويعلّمها كيف تعبد ربها، وتنعم بزواجها، وتسعد زوجها، وتربي وليدها، فلا بأس أن تدلها على ميعاد الجلسة في المسجد، وتطلب منها محاولة الحضور والانتظام إذا استطاعت ذلك وكان منها قريباً، أو أن توضح لها أهمية ذلك، لترفع لديها من الإقبال والاستعداد لهذه المحطات الإيمانية المهمة التي ستتزود منها.

لا تعجب يا أخي إذا علمت أن كثيراً من الجفاء والتعدي الذي يحدث بعد الزواج، ترى على الأغلب أنه قد سبقه — إذا استقصيت

= أبوها بالرضاع وابنها من الرضاع، وأخوها، وابن أخيها من الرضاع وجميع ما ذكر سابقاً لقوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**». رواه البخاري ومسلم.

(انتهى — من الشبكة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف القطرية)

وعليه: فيكون كلٌ من عم الأب وخاله وعم الأم وخالها محرما عليك أيتها الأخت الكريمة، وتكوني أنت من أصلابهم.. والله أعلم. أهـ

الأمر – إهمالاً من الزوجة أو من كلا الزوجين لتلك اللقاءات الإيمانية، التي تذكّر بأهمية الزواج، وتلطف احتكاكات الحياة بقطرات الإيمان والتذكرة.

إن الأمر جدّ خطير يا أخي الحبيب، ولقد اشترط أحدهم على زوجته ذلك، إذا أرادت أن تحتفظ بدرجة ودّها في قلبه.

كن كبيراً :

أخي الكريم الغالي:

لابد أن يتسع صدرك لما تسمعه من تذكير بتلك التكاليف الباهظة التي دفعوها لابنتهم وتكرار ذلك التذكير الذي لربما اقترب من المنّ، أعلم أنك أنفقت ما يقرب من ضعفيها أو أكثر في شقة وأثاث وشبكة و...و......، ولكن كن كبيرا.

لا تذكر أبداً نفقاتك التي أنفقت على أخواتك في زواجهن أمام أهل زوجتك، فالمليء لا يحتاج إلى الدعاية كما قال الراشد، فلربما وصل هذا الكلام إلى إحدى شقيقاتك فحزّ ذلك في نفسها، وكن كبيرا.

واعلم أخي الحبيب إنك لابد لك من تحديد ما ستقوم بشرائه بصراحة ودون مواربة مع الاحتفاظ بهدوء الجو وعائليته، فأنت تتفق مع رجل على أن يعطيك عيناً من عيونه، فقدر عطاءه، ولا تتصلب

وحاول أن تصل إلى حلٍ وسَط بكل رفق في كل المراحل وكن كبيرا.

ثم لابد أن تتحلى بعد هذا التحديد بسعة الصدر أيضاً، فكثيراً ما سوف تراهم يحملون عليك ولو بشيء قليل، فلو عاندت لديه لوجدت عنتاً، فمن الناس من يستشعر أنك تأخذ ابنته وتستنزف ما عاش لجَمعه طيلة عمره في شهور قليلة، فيعبر عن ضيقه بالعند لدى بعض الأشياء الصغيرة، ولكم انفسخت زيجات بشيء تافه لاقى عنداً وإصراراً عند طلبه، فحاول أن تستل هذا العند من النفوس كلما ظهر في كل مرحلة كما وصيناك، فمثلاً قد يقال لك: إن الخلاط الكهربائي ومضرب البيض من الأدوات الكهربائية، وليس من أدوات المطبخ فعليك أنت شراؤه، فقل لا بأس سأقوم أنا بشرائه، وكن كبيرا.

وإياك أن تخبر اللوامات، والمقصود بهن الأخت المتصيدة أو الأم الناقدة أو كلتاهما، فإنهما إذا علمتا بأنك واسع الصدر وتقوم بشراء ما عجز عنه أهل الزوجة، أو ما التبس عليهم أيًا كان عليك أم عليهم فإن قرينك من اللوم والتقريع الذي لا ينقطع، والذي ربما طال حتى هيج صدرك، وحفزك على أن تتصلب تجاه أصهارك، فيرون منك كلمة حادة، أو جفوة في طلب، أو اقتضاب الكلام معهم، وكما قال الشاعر:

العين تعرف في عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

فيضيع في لحظة ما بذلته من نفسك ومالك في شهور ، لذا حاول أن تتكتم، وكن كبيرا.

علمها قبل أن تسألها :

١ - لابد في هذه الفترة أن تدربها على أن تطيعك بمعنى أن تكلفها بشيء بسيط وتتابعها فيه، وأن تسألها عن شيء جديد فعلَته هذا الأسبوع، وأن تحكي لها كيف قضيتَ ذاك الأسبوع حتى تستحثها أن تقوم بالمسألة العكسية وتحكي لك عما فعلت، ولكن تذكر أنك لم تصبح بعد زوجها ولكنه تدريب متدرج في بطء الوقت، وفي كمال الاستجابة، وإياك أن تجبرها على شيء وتدَّعي أن عليها واجب الطاعة فيه، ويلبِّس عليك الشيطان إذا رفضت أنها ليست امرأة طائعة لزوجها، وأن ذلك نذيرُ شر، وتفترض أن عليها أن تتعلق بك بنفس درجة تعلقك بها في نفس الوقت، اصبر يا سيدي ولا تتعجل حتى لا تخسر، فإن الطاعة تكون لك بعد الزواج، وحتى لا تُشْعر الوالد أنك تتحكم في ابنته وهي ما زالت تحت سلطانه وينفق عليها، فتؤزه إلي صدِّك وإيقافك عند حدك الصحيح.

فلقد قام أحد الخاطبين بتوجيه الأمر إلي مخطوبته بألا تتأخر خارج البيت بعد وقت معين، ولما علم أنها تأخرت ذات مرة شكا

إلى وليها أنها غير مطيعة له، ولما تكررت الشكوى تركها[1].

(١) رقم الفتوى / ٤٤٦٥٩، تاريخ الفتوى: ٤ محرم ١٤٢٥.
عنوان الفتوى: هل يلزم المخطوبة طاعة خطيبها.
السؤال: إن أمر الرجل زوجته أي في فترة الخطبة مثلا.. أقر بأن لا يجب عليها أن تكمل دراستها.. وعليها أن تجلس في البيت، ولا يوجد هناك سبب مقنع لذلك الإصرار، فهل إن رفضت المرأة ذلك تكون قد خرجت عن العرف المطلوب والمعروف، هل عصت زوجها !!!
فقط أريد أن أعرف إن كانت ستأثم أم لا ؟ جزيتم خيرا.
الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فلا يلزم المرأة المخطوبة طاعة خطيبها ولا تأثم بمخالفته، لكن إن أمرها بأمر من أوامر الله ورسوله وجب عليها الامتثال لأمر الله والرسول ﷺ، وليست له مزية في هذه الحال على غيره ممن يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر.
وأما الزوج فيجب على المرأة أن تطيعه وتأثم إن خرجت من بيته بغير إذنه فيما لم يرخص لها الشرع بالخروج له كالضرورة وطلب العلم الواجب ونحو ذلك.
وإذا شرطت المرأة في عقد النكاح إكمال دراستها لزم الزوج تمكينها من ذلك، ولها الفسخ إن لم يف بالشرط، ونحن ننصح هذه الأخت بأن لا تجعل إكمال الدراسة عائقاً أمام الزواج في حالة رفض الرجل لذلك.
والله أعلم.
المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه موقع الشبكة الإسلامية، وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب يرى أنه ليس للخاطب سلطان كي يأمر مخطوبته، فهو في الأصل أجنبي عنها ومن الممكن أن ينصرف أو تنصرف هي عن الخطبة دون أن يكملا العلاقة. =

٢- وعليك أيضاً أن تستصحب هدية لها كتابًا تعلمها به كيف تعامل الزوجة زوجها وكيف تحافظ على الود وتسعده، ولا تستنكف إن هي أهدت إليك الكتاب الدال على واجبك نحوها فهي حقوق متبادلة.

٣- وعليك في هذه المرحلة أن تعلمها ما تحب وما تكره وتطلب منها أن تعلمك – بتجرد – ما تحب هي وما تكره، بلا مبالغة منك ولا تدلل، كل ذلك بعيداً عن أي إشارة إلى مسائل النكاح أو الجماع، فمثلا قد لا تحب الصوت العالي ويغيظك هذا الأمر، أو لا تحب أن تراها دائما بثوبٍ واحدٍ لمدة طويلة.

٤- وجميل هنا أن يحدِّث الأخ مخطوبته بحبّه للتزين والتجمل منها لزوجها، حتى تحقق له الإعفاف والعون على غض البصر، فإن الكلام على هذا الأمر مناسب في هذا التوقيت لأنه لن يجرح مشاعرها، وسيحفزها إلي التزين فيما بعد الكتاب، أما إذا أبديته بعد العقد، فربما ظنت أنها لما خلعت حجابها لم تعجبك وبدا لك

= ولكنه يمكن أن يوجه باللطف واللين، وحتى بعد العقد فليس من الذوق أو المقبول أن يأمرها وهي مازالت في سلطان أبيها وفي بيته ولكن الذي يأمر هو الوالد أو ولي الأمر لها.

ذلك أن هذه الأشياء من شأنها أن تزرع الكراهية فيما بين الخاطبين وهذا أمر لا داعي له. التاريخ ٨ ربيع الآخر١٤٢٧هـ- ٦/ ٥/ ٢٠٠٦ .

منها ما لم تتوقع، فأردت معالجة الأمر فتجد لذلك مرارة في حياتها منشأها هذا الهاجس الوسواسي.

كيف تجعل زوجتك كاملة ١٠٠٪ ؟

تزكية نفسك لترى جمال الأخلاق	١٠٪
غض بصرك حتى يلم شعث قلبك	١٠٪
علمك أنه لا يوجد في الدنيا نعمة كاملة	١٠٪
تعليمها كيف تكون متجددة ومتجملة	٢٠٪
جمالها الفعلي بالنسبة لك	٥٠٪

وكذلك يكون التبكير في ذلك أفضل حتى تتدرب عليه إن كانت له من الجاهلات، أو كانت بيئة البيت الذي درجت فيه بيئة تستهجن هذا الأمر ولو داخل البيوت، فيكون التبكير بهذا الكلام دافعاً لها إلى المحاولة، والاستشارة لمن له باع في ذلك الفن، حتى إذا بدت لك بعد الكتاب وتمكنت من ذلك الفن، أسفرت عن بدر في يوم التمام إن شاء الله.

٥- علمها أن للبيت خصوصيات لابد ألا يعلم بها أحد، من خلافات تحدث بينهما، أو ضائقة بسيطة تمر، وأن كلمة الزوج تعلو على كلمة الأب، وأن المرأة التي تخرج من بيت زوجها غاضبة دون إذنه، قد لا ترجع إلى نفس مكانتها في قلب زوجها.

« تروي م.ن مطلقة بعد ٦ شهور من زواجها:

خلافات أسرتي مع زوجي قبل الزواج جعلت أهلي متحاملين علـى زوجـي دائمـا وكنـت عنـدما تـواجهني مـشكلة بـيني وبينـه ويعرفونها دائما يجعلونه هو المخطئ ويكررون لـي أنهـم نـصحوني قبل زواجي منه بأنه سيئ حتى بدأت أشعر أنني ارتكبـت خطيئـة في حق نفسي بزواجي من هذا الشخص ولهـذا وقبـل أن يكتمـل عـام زواجنا الأول طلبت منه الطلاق حاول كثيراً أن يجعلني أتراجع عـن طلبي هذا حاول أن يفعل كل ما يرضيني حتى أقبل بالاستمرار معـه لكني صممت على طلبي.

وأمام هذا التصميم لم يجد مفرًّا مـن الموافقـة علـى الطـلاق ولم أشعر بهول الجريمة التي ارتكبتها في حق نفسي إلا عنـدما أصـبحت أحمل لقب (مطلقة) وتأكـدت أنـي افتقدتـه إلى الأبـد والغريـب أن أسرتي الذين حرضوني على الطلاق منـه كـانوا أول مـن أهـانوني كثيراً بسبب أني أصبحت مطلقة وأيقنت أن نار زوجـي أرحـم مـن جنة أهلي »[1].

٦- علمها ألا تقارن بينك وبين أي أحد (لا في ماله أو درجتـه أو شكله أو أي شيء آخر) حتى وإن كان المقارَن به أخاك الـشقيق،

---

(١) http://www.ishraqa.com/newlook/art_det.asp/ArtID-1190&Cat_ID=20

وأن من سعادة الزوج أن يشعر أنه الرجل الأول ودرة التاج في عين امرأته.

٧- علمها أن لها رأي ولابد أن تقوله، ولكن للبيت مالك يأخذ القرار فلابد أن تحترم رأيه وتعمل به حتى وإن كان عكس ما توقعَت طالما كان هذا القرار لا يحل حراماً متفقًا على تحريمه، ولا يحرم حلالاً متفقًا على حِله.

٨- علمها أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حتى لو كان هذا المخلوق هو أنت، فما تزوجتما وتعبتما في هذا الزواج إلا قُربة إلى الله تعالى وطلباً لرضاه.

٩- علمها أن أمّك مقدَّمة عليها بكل صراحةٍ ووضوح، وذكِّرها بضرورة أن تُعين المرأة الصالحة زوجها على طاعة أمه في المعروف، وأن تكون سبباً لجمع شمل الأهل والأسرة لا سبباً في الفُرقة والنزاع.

لا تنزعج:

لا يزعجك أنك لا ترى لها رأياً قاطعاً في شيء مهم، فكلما أردت منها استرشاداً برأيها قالت:

يا ريت تسأل والدي

الصراحة لا أعرف

طيب حضرتك رأيك إيه

أي حاجة إن شاء الله ستكون طيبة

أنا أثق في ذوقك واختيارك وأي شيء ستشتريه أنا واثقة أنه سيكون جميلاً إن شاء الله....

فقد يكون ذلك نابعاً من عدم تعودها على اتخاذ القرارات المهمة في حياتها، أو الخشية من أن تُقحم نفسها فيما يجُر عليها اللوم من أهلها لأنها تعودت أن للبيت كبيراً يُرجع إليه أولاً، أو أنها لا تدرك حدود إمكانياتك المادية بوضوح مما يجعلها ترفق بك أن تضعك في حرج من أجل تلبية مطلب لها، وسواء كان ذلك الخوف أو الرفق أو أي شيء آخر، فلا يزعجك ولا يغيِّر من رأيك، بل إن بعضه كما أوضحنا قد يصدر عن حسٍ عالٍ، وشعورٍ دقيقٍ.

ولسوف تلمح إن شاء الله من مثل هذه رأياً بعد الزواج راجحاً، وبصيرة نافذة في أمور كثيرة.

ولا نعني بكلامنا هذا الساذجة الملتاثة التي لا تحسن تفهم الأمور ولا تتدبرها، فهي من أثقل الأعباء على زوجها، والتي إن غبت عنها بسفر أو غيره، فإنه الضياع للبيت والأولاد، بل إنها قد تكون ممن يستخدمها الإعلام المضلل والشيطان اللعين لتثبيطك وتخويفك من المجهول وعلى المستقبل والدنيا، فتردك عن السبيل

وترد بك أحواض الدنايا.

إياك وصاحبنا:

قد كان نائما وفجأة جاءوا ليوقظوه، وهزوه هزًّا عنيفاً، ونـادت عليه الأم: قم يا عبده، قم يا بني نريدك أن تذهب لشراء أشـياء كـي نغدي خطيب أختك، قم يا ولدي وساعدنا في ترتيب البيت، ويقوم المدلل فيجد أنه سُلب كل شيء..

لا أهنأ بنوم في يوم يأتي فيه «المحروس»

– أريد أن آكل.

– يا بني اصبر حتى يأتي خالد وتأكل معه...

– إني ذاهب وتارك لكم البيت فارتعوا فيه..

– يا بني إن أباك سيأتي متأخراً فلا تتحرك حتى تـستقبل خالـد وتجلس معه حتى يأتي أبوك

لا أعرف علام يحتفون بهذا النحيف الذي يقف وراء شرابه.

الصبر يا رب.

هذا – أخي الحبيب – هو الحوار الدائر لدى شـقيق خطيبتـك، وكلما كان التدليل له أكبر، كان الألم لفراق منزلته في قلوب العائلـة أشق، فهو يرى أن كل الحفاوة التي كان يحظى بها والاهتمـام الـذي

كان ينهال عليه قد نقل إلي صاحب الحدث الجديد «الخطبة»، وتجمدت جميع صلاحياته وأرصدته حتى يستعدون لتشريفك وزيارتك، لذا فعليك أن تراعي هذه الحساسية التي يجدها تجاهك وتلك المكانة التي يظن أنه قد سُلبها بإطلالك على البيت، وإياك والانتقاد لأي فرد منهم عامة ولهذا المدلل خاصة، فإن جرح انتقادك له لغائر.

وعليك أخي الحبيب أن تبادره بالهدية فإنها وكما يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «عليكم بالهدية فإنها تذهب وحر الصدور».

أما إن كان متعدياً في حواراته، متجهماً، فلابد من الرسمية الكاملة في التعامل معه (السلام والسؤال عن حاله، وبارك الله لك، وكيف الأخبار وشكراً والسلام عليك وحسب).

ولا ننكر أن هناك بعض الإخوة يشذ عن ذلك ويبدي روح الترحاب والبشر، وبخاصة الأخ الكبير الذي يغلب عليه روح «أخو البنات».

وبشكل عام حاول أن تستصحب معك في أغلب زياراتك هدية بسيطة لفرد واحد من أفراد العائلة، فمرة للأم ومرة للشقيقة، ومرة للطفل الصغير، واجعلهم ينتظرون منك جديداً كل زيارة، فمرة في زيك المنسق، ومرة في هديتك البسيطة الرقيقة المتنوعة ولمن

ستكون تلك المرة، ولا تكثر من الهدايا أو تبالغ فيها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم .

خطيبتي حبيبتي:

- يحاول كثير من الشباب - لما يعايشه لتلك المعاني التي يدندن حولها الإعلام من الحب والشوق والجوى والهجران - يحاول أن يستكشف تلك المجاهل، ويعيش في ذلك النعيم والهيام، فتتناثر منه أثناء كلماته أو مكالماته بعض الإشارات لتلك المعاني من بعيد، وهو ما يجعل صاحبتنا تحجّم من علاقتها، وتخاف أن يكون أمرها هكذا في بداياته، فيزري عليها في نهاياته، فيجد المقبل صاحب المشاعر المتدفقة، صخوراً تحزّ بنفسه، وتجعله يستشعر الجفلة عنه، فيتردد في أحكامه، ويصاب بانغلاق نفسي مع الوقت.

إن كثيراً من الخطاب لا يتعلق بمخطوبته من أجل دينها وأخلاقها وميله الفطري لها فقط، إنما أيضاً من أجل أنها الشخص الوحيد في هذه الدنيا الذي يتعلق به، ويفرح برؤيته أيما فرح، ويبدو ذلك جليًّا عليه، فإذا تشوشت تلك المعاني لديه فإن حاله يسوء، ولا يدري في أي ناحية من نواحي الميل هو، إقبال أم إدبار.

- من الأشياء التي تعرض للخاطب الإهداء، وهو ما يصاحب الهدية من ورقة أو بطاقة يكتب عليها كلمة رقيقة لصاحب الهدية.

وأما عن الإهداء، فإن تأجج العاطفة بداخله، وغليان بركانها قد يبحث عن تنفيث عن طريق الخطابات التي تصاحب الهدايا، وهذا مما لا يصح بحال، وأيضاً سيقع هذا الإهداء ولا شك في أيدي أهلها، إن عاجلاً أو آجلاً، فتخسر الأولى والأخرى معاً.

وإليك نموذج للإهداء الراقي:

الأخت الفاضلة: إيمان

يقول الرسول الكريم ﷺ: «**ما استفاد امرؤ بعد تقوى الله خيراً من امرأة صالحة..** ».

وإني لأتقدم لكم بهذه الهدية المتواضعة تعبيراً عن شكري لله تعالى أن هداني لهذا الخير، ووفقني لهذا الاختيار.

سعيد

مع الحبيبة الأولى :

أو هكذا نسيتني، بعد كل هذا التعب والسهر من أجلك وأجل مستقبلك، وما كابدته بليلة شكوتَ فيها من ألم أو مرض، هل انتهى دوري وبدا دور واحدةٍ أخرى في حياتك تحلّ محلي.

أزرع أنا وهي تحصد.

كم مللتَ من كثرة كلامي وها أنت تشكو من قلة اتصالها بك

رغم أنك تقضي معها الساعات الطوال دون كلل.

وكم سألتُك أن تأخذني لنزهة فمللتَ بطء مشيتي مع أنك تخطط وتفاوض من أجل الخروج معها ولو لمرة، ولما أخذتني مرة للتنزه إذا بي أكتشف أنك أخذتني لتسترشد بذوقي في شراء هدية لأمها، ذكرتني بذاك اليوم الذي أخذتني فيه لبيت خطيبتك لأول مرة، وقلت لي إنك تصطحبني لتأخذ رأيي، ولكني اكتشفت هناك أنك أخذتني بعد اتفاقك على أشياء كثيرة، فلما أخذتني؟! ألتأخذ رأيي، أم لأنهم اشترطوا عليك مجيئي.

وها أنا ذا بعد كل هذا التعب في إعداد يوم الكتاب وما سبقه من كدٍ وعناء، أراك ترفع ذيل ثوبها عن الأرض خشية أن يصيبه أذى حتى أجلستها بجوارك في سيارة الزفاف، ثم انطلقتَ معفّراً على أمك البائسة التي أخذها أحد أصحابك في سيارته بعد أن لمحها، تقف وحيدة يلفُّها الخجل والحسرة ..

أخي الحبيب، تلمح من أمك في هذه الأيام مشاعر جديدة غريبة عليك، فهي ولا شك ترجو لك الهناءة والخير، وتفرح لفرحك وسعادتك، ولكن إظهار جنوح مشاعرك نحو مخطوبتك لأمك، يشعرها باحتياج لمثل تلك المشاعر، وتود لو أنك توجهت لها ببعض ذاك الشوق فيما مضى، وتستغرب لهذه الرقة رغم ما لاقته منك من جفوة، صحيح أن معاملتك لها تغيرت وتحسنت كثيراً منذ

التزامك، لكن ما أنت فيه من حُسن المعاملة مع مخطوبتك وأهلها فاق كل مطلب لها وتصور.. ألا يبعث ذلك – مع ما يؤزها إليه الشيطان – إلى غيرةٍ وانتقاد.

ووصية أخرى لك أخي الحبيب: لابد أن يكون أمرك وسطاً فيما يتعلق بما تعلمه أمك عن سير زواجك، فلا تمنع عنها كل أمر أن تعلمه فتشعر بتجاهلك لها، ولا تخبرها بكل شيء فيتعسر عليك أمرك، وقد كنت من قبل في سعة وحِل.

وبوجه عام لا تجعل أمك أو أباك يستشعران أن مهمتهما قد انتهت، وأنه قد برز في حياتك وجهٌ جيد، أو وجهان (مخطوبتك، وأمها) وأنهما قد نزعا زمامك من يد أبويك ليأخذانك إلى ما يرون، فإن هذا الشعور يجسد الخيانة للوالدين ونسيان الجميل، ويدفع إلى التحفز ضد مخطوبتك وأهلها دونما ذنب منهم، ولكنه خطؤك ورعونتك.

وعليك إذا كان يوم الشبكة أن تجعل أمك هي التي تلبس زوجتك سوارها، تقديراً لأمك واعترافاً بقدرها، وتقريباً لما بينها وبين زوجتك، وهو أمر لازم إذا لم يكن العقد مع الشبكة، فلأمك أن تمسك بيد مخطوبتك دونك في هذا اليوم.

ستجعلك من أولها تمشي على رأيها:

نؤكد عليك – أيها الأخ الكريم – ألا تـدخل والـدتك في كـل التفاصيل وبخاصة التفاصيل المادية، فهي لا شـك تحبـك وتكـره أن تراك قد أثقل الناس عليك، وكـذلك لا تريـد أن تـراك تخنـع تحـت وطأة الحب – كما تظن هي – فيحمّلونك ويستغلون ضعفك، فـإن قلت لها يوماً مثلا: إن زوجتي تطلب شقة بجوار أهلها، وأنا سأحاول أن أبحث عن شقة هناك، فإنه الحنق عليهـا مـن أمـك، والاعـتراض على عقل زوجتك وعقل أهلها، بل وعقلك الـذي تـسيُّره حماتـك، كما تظن هي.

وآه لو كان ذاك اللوم ممن لا يرحمـون، أعـني أخواتـك البنـات، وبخاصة النرجسية منهن، فلتسمعن بكل وقـت تقريعـاً، وليـصرُخن بوجهك عند كل مهادنة أو مسايرة لأهل زوجتك، حتـى لربمـا أزّوا عليك أمك المسكينة، لتستنقذك من براثن أهل زوجتـك وشـباكهم، كما يظنون.

التوقيتات:

لا يوجد توقيت محدد شرعاً للفارق الزمني بين الخطبـة والعقـد والبناء وإنما يترك الأمر للاتفاق تبعاً لمـدى الاسـتعداد المـادي لـدى الطرفين، ولكن هناك ملاحظات على تلـك الفـترة، وأذكّـرك أخـي

الحبيب أن هذه مجرد أفكار حياتية لك أن تأخذ بها على سبيل الاسترشاد فقط:

إذا كانت الزيارات متباعدة نسبيًّا كان أبعد عن الملل، والإثقال على البيوت، وتقلّ الزيارات ولاشك إذا كانت المخطوبة في أيام الدراسة وتنعدم قبل امتحاناتها بشهر على الأقل.

وإذا وجدت شوقاً جارفاً إلى إكثار زيارة المخطوبة فالاتصالات التليفونية تجعل المرء يستعيض عن كثرة الزيارات، وحاول ألا تُطِل، وفي وقت مناسب غير متأخر، وأنت المتصل طبعاً وليست هي، وارحم والدك من فجعة فواتير فترة الخطبة [(١)].

ولا تحاول أن تلعب بالعواطف أو تتناساها لترى رد الفعل، وازرع فيها التقدير لعدم اتصالك ونهجك السلوكي وقراراتك بوجه

---

(١) **ردًا على سؤال:** هل يجوز التحدث مع خطيبي في التليفون، ذكر د. حسين شحاتة - الأستاذ بجامعة الأزهر - أجاز فريق من الفقهاء ذلك بالضوابط الآتية:

١- أن يكون بجوار التليفون أثناء الحديث ذو محرم لها، أخوها أو والدها.

٢- تجنب الكلام غير النافع مثل: المثير للعواطف ونحوها.

٣- الاختصار الشديد في الحديث وخير الكلام ما قل ودل.

٤- الحذر الشديد حيث إن معظم التليفونات تحت التنصت.

(انظر: كتاب آداب الخطبة في الإسلام، د. حسين شحاتة: دار المنار الحديثة، القاهرة ٢٠٠٢، ص٣٦)

عام، وليس الشك والريبة.

واحرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعها بعد القطيعة يصعُبُ
إن القلوب إذا تنافر ودُها مثل الزجاجة كسرها لا يُشعَبُ

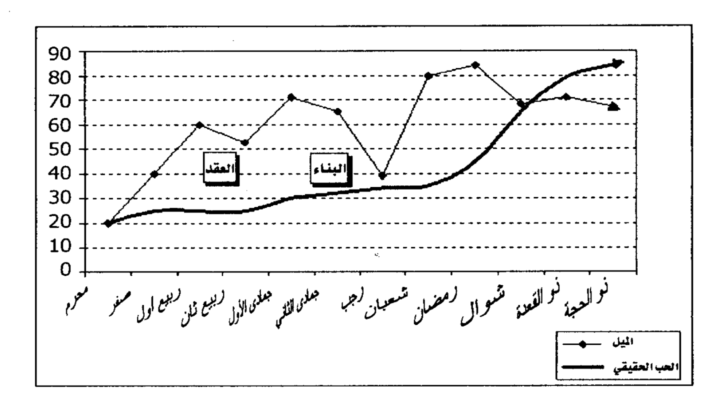
العقد بعد أشهر، ليكون أحرى إلى حسن التبصر قبل الإقدام على قرار العقد وإذا كانت هناك فترة طويلة بين الخطبة والبناء فلابد من جعل القاسم الأكبر من تلك الفترة قبل العقد وليس بعده، ذلك حتى نتقي كثيراً من المشكلات التي تحدث بعد العقد.

والبناء بعد العقد بأقل وقت ممكن، وقد شرع الإسلام فترة العقد لتكون أقرب إلى زيادة الألفة، والتهيئة النفسية، وإزالة الرهبة، والذي يمهد للبناء، حتى لا يحدث الهلع الذي نسمع عنه في تلك الليلة.

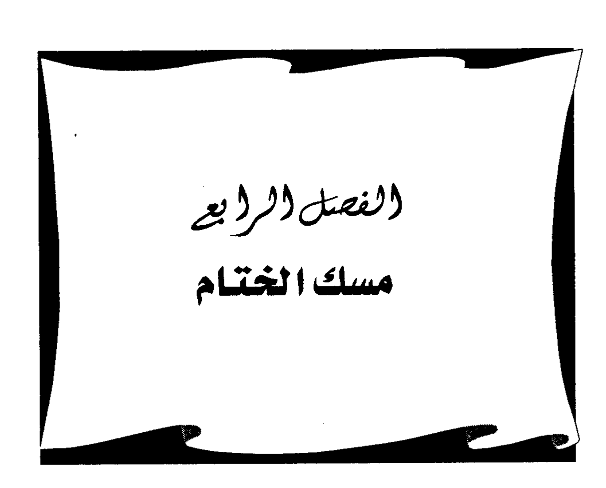
انته من فرش الشقة قبل البناء بأيام، حتى لا يتسبب إنهاكك النفسي والجسدي في ضيقك يوم البناء.

هذا التصور روعي فيه الأبعاد المادية الطبيعية، وأيضاً الأبعاد العاطفية حيث إن طول المدة – وبخاصة بين العقد والبناء- يؤدي إلى السأم والتعود، وكثرة المشاكل، وزيادة احتمالية وقوع بعض الأحداث التي تعوق ميعاد الزفاف كوفاة أحد الأقارب، أو حادثة أو ما شابه ذلك.

كما أن الحب الحقيقي والمبني على التداخل والتعاون على الهدف الواحد، إنما يكون بعد الزواج بفترة، وهو الحب الذي يتنامى ويزدهر بمرور العمر والتعاون على مواجهة الصعاب، وأما الميل أو العاطفة التي تسبق الزواج فهي سطحية ومتقلبة صعوداً وهبوطاً، وإنّه مما يخشى عليك أخي الحبيب أن تقابل إحدى فترات الفتور العاطفي مشكلة أو صدام يقع بينك وبين مخطوبتك أو أهلها، وساعتها لا تجد من الأرصدة ما يجعلك تصبر على الاستمرار فتقرر الانفصال اللاواعي.



❊ ❊ ❊


الفصل الرابع
مسك الختام

ولما خلق الله آدم أبا البشر، وأسكنه الجنة، لم يدعه وحده؛ إذ لا معنى لجنَّةٍ يعيش الإنسان فيها وحيداً مستوحشا، لهذا خلق الله له من نفسه زوجاً ليسكن إليها، وقال له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[البقرة:٣٥].

فالإنسان إذن يحتاج إلى سكنين: سكنٍ مادي يسكن فيه، وسكنٍ معنويٍّ يسكن إليه، والمرأة للرجل هي السكن المعنوي النفسي الذي يحتاج إليه؛ ليجد الأنس والرَّوْح إلى جانبه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

ومن هنا كان دعاء عباد الرحمن الذين أثنى الله –تعالى– عليهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان].

جزء من القصة التالية

قصة البحث عن بنت الحلال

وكما نعرف أنه بضرب المثال يتضح المقال، فقد أكرمنا الله تعالى بمثال رائع يوضح سيرة عالم جليل من علماء الأمة في تلك الفترة – فترة الزواج– وهي قصة بحث الدكتور يوسف القرضاوي عن بنت الحلال، ولقد وجدت فيها حين وجدتها تطبيقا رائعاً لما كنت قد كتبته في هذا الكتاب من مبادئ وطرق، فدقق في سطورها أخي الحبيب، ولاحظ المعاني لتسترشد بها.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

بعد أن انتهت رحلة البحث عن العمل الذي أكسب منه لقمة العيش الحلال، بدأت أدخل في رحلة أخرى، هي رحلة البحث عن بنت الحلال، شريكة الحياة.

ومن الطبيعي لشاب أزهري أن يفكر في الزواج، ويبحث عنه، ولقد أتم الثلاثين من عمره، وقد حث القرآن والسنة على الزواج، وجعله من سنن المرسلين ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[الرعد:٣٨] واعتبر رسول الإسلام الزواج من سنته **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»** [متفق عليه].

ولم يشرع الإسلام الرهبانية، بل رغب عثمان بن مظعون في

(التبتل) والانقطاع للعبادة، فردّه عليه رسول الله ﷺ.

صحيح أن هناك بعض العلماء الكبار شغلهم العلم أو هموم الأمة عن الزواج، فعاشوا وماتوا عزابا مثل النووي وابن تيمية، وقد صنف صديقنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله- كتاباً عن العلماء العزاب، ولكنهم يمثلون الشذوذ الذي يثبت القاعدة.

وقد كنت أرجو قديما أن أتزوج بعد تخرجي بسنة واحدة، ولكن الاعتقالات لاحقتني، فلم تمكني من تحقيق هذه الأمنية، وقد قال شوقي حديثاً:

قدرتُ أشياء، وقدر غيرها   قدر يخط مصاير الإنسان!

وقال غيره قديما:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن!

وكم للإنسان من أحلام وأماني يعيش بها، ويركض وراءها، وقد يحقق بعضها، وقد يخفق في تحقيق شيء منها، ويعود بخفَّيْ حُنين كما قال العرب، أو بلا خفٍ أصلاً.

كان الجانب المالي يمثل أولى العقبات في سبيل الزواج، فلم تكن لدي الوظيفة المستقرة بعد خروجي من المعتقل، كما لم يكن لديَّ ما أدفعه مهراً وشبكة، وأعد به بيتاً صالحاً لحياةٍ زوجية مناسبة.

فلما هيأ الله لي التعيين في وزارة الأوقاف، أمست لي وظيفة

معقولة، كما هيأ الله لي ظروفاً جمعت فيها ما يقرب من مائتي جنيه، وهذا مبلغ طيب يشجعني على التقدم إلى أسرة ملائمة لأخطب منها.

ويطيب لي أن أذكر من أين جاءني هذا المال، لقد جاءني من ابتعاثي سنتين خلال شهر رمضان إلى مدينة العريش عاصمة سيناء من قِبل وزارة الأوقاف، وكانت تعطيني في كل مرة حوالي سبعين جنيها.

كما كلفتني الوزارة أو مراقبة الشؤون الدينية فيها أنا والأخ أحمد العسال بالإشراف على طباعة تفسير لعالم هندي كبير «ثناء الله الأمر تستري»، ويتضمن تفسير القرآن بالقرآن، وهو تفسير على هامش المصحف، وقد قمنا بالمهمة، ومنح كل منا مكافأة، أظنها كانت سبعين جنيها. هذه (السبعينيات الثلاثة) من الجنيهات المصرية، كانت هي رأس المال الذي ادخرته للزواج، ولم أنفق منه شيئا، ولاسيما أني ليس لي مصاريف شخصية، فأنا لا أجلس على مقهى، ولا أدخل سينما، ولا أدخن. ولا أكاد أنفق إلا في مأكلي ومشربي وملبسي، وشراء كتبي، وغالبا ما تكون من الكتب القديمة، بعضها من «سور الأزبكية» الشهير الذي كان سوقاً معروفة لبيع الكتب القديمة، ولا يوجد عالم أو أديب أو باحث لم يذق لذة البحث عن الكتب حول هذا السور العتيد. وبعضها من مكتبة الشيخ علي

خربوش صاحب مكتبة الآداب في درب الجماميز بحي السيدة أو باب الخلق، وهي مكتبة يعرفها طلاب ذلك النوع من الكتب الذي قد لا يوجد في المكتبات الحديثة، ولكنه يوجد عنده.

فمن حقي الآن – بل من واجبي – أن أبحث عن النصف الآخر، الذي أسعِد به دنياي، وأكمل به ديني.

فالمرء بفطرته يتطلع إلى الجنس الآخر؛ فكلا الجنسين لا يستغني أحدهما عن الآخر: لا يستغني الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل؛ فهو يكملها، وهي تكمله، كما قال تعالى: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[آل عمران:١٩٥] أي الرجل من المرأة والمرأة من الرجل.

ولما خلق الله آدم أبا البشر، وأسكنه الجنة، لم يدعه وحده؛ إذ لا معنى لجنة يعيش الإنسان فيها وحيداً مستوحشاً، لهذا خلق الله له من نفسه زوجا ليسكن إليها، وقال له: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[البقرة:٣٥].

فالإنسان إذن يحتاج إلى سكنين: سكن مادي يسكن فيه، وسكن معنوي يسكن إليه، والمرأة للرجل هي السكن المعنوي النفسي الذي يحتاج إليه؛ ليجد الأنس والرَّوْح إلى جانبه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم:٢١].

وبهذا يكون الزواج مكملا لدنيا الرجل، ومجملا لحياته، ومصدراً من مصادر سعادته، كما في الحديث: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[١]. وكما في الحديث الآخر: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**»[٢].

كما أن الزواج مكمل لدين الرجل أيضا، حتى شاع بين جماهير المسلمين أن الزواج نصف الدين، وهو مقتبس من الحديث النبوي: «**من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي**»[٣].

وبهذا يتبين أن مجرد الزواج ليس هو شطر الدين أو نصفه، بل الزواج من المرأة الصالحة التي تعينه على أمر دينه؛ فتذكره إذا نسي بأمر ربه، وتنبهه إذا غفل عن واجبه، وتقويه إذا ضعف عن القيام بأعباء دعوته.

ورب زواج من امرأة قليلة الدين يكون سبباً في ضياع صاحبه،

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن حبان (٤٠٣٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ١٧٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٨٧) والطبراني في الأوسط (٩٧٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقد كان الإخوان إذا سُئلوا عن الأخ إذا تزوج من امرأةٍ فتقاعس عن الدعوة وتكاليفها.. قالوا – رحمه الله– انتقل إلى جوار زوجته !

وفي الحديث المتفق عليه: «**تنكح المرأة لأربع: لحسبها، ومالها، ولجمالها: ولدينها. فاظفر بذات الدين تربَت يداك**».

وذات الدين هي المرأة الصالحة، وهي إحدى النعم التي مَن أوتيها فقد أوتي خير الدنيا والآخرة، مثل اللسان الذاكر، والقلب الشاكر، وهي من خير ما يكنزه المرء لدنياه وآخرته. وهي التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أقسم عليها أبرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله، كما قال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:٣٤].

لا عجب أن أتطلع بجد للبحث عن تلك المرأة؛ فأين أجدها؟ وأين من يدلني عليها؟

لقد حاول خالي – رحمه الله – وأنا طالب بكلية أصول الدين أن يزوجني من إحدى قريباتنا من قرية «شبشير الحصَّة» بالقرب من قريتنا، وكان لا ينقصها الجمال ولا الدين ولا الخلق، ولا الحسب ولا المال، ولكن كان ينقصها شرط، وينقصني أنا شرط. أما شرطها، فهي أنها لم تتعلم أكثر من الابتدائية، وهذا القدر من التعلم لا يكفيني.وأما الشرط الذي ينقصني أنا، فهو أني لم أزل طالبا، ومعنى

زواجي منها: أن تنفق عليّ من مالها، وقد كان أهلها مرحبين غاية الترحيب بذلك، ولكن كرامتي لم تسمح لي أن أكون عالة على مال امرأتي.

شروطي فيمن أريدها زوجة:

بدأ إخواني وأصدقائي من حولي يسألونني عن شروطي في الفتاة التي أنشدها زوجاً لي وأماً لأولادي. فقلت لهم: إن لدي أربعة شروط لست مستعداً لأن أتنازل عن واحد منها:

الأول- أن تكون من أسرة طيبة، ذات معدن أصيل، وأن يظهر ذلك في دينها وسلوكها، فلا أريد (خضراء الدِّمَن) وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء. فلابد أن تكون محافظة على الصلاة، فهذا أمر أساسي.

قالوا: هل تشترط أن تكون محجبة؟ قلت: أستحسن هذا ولا أشترطه، لندرة المحجبات في ذلك الوقت، ولكن لا تكون متبرجة.

والثاني- ألا يقل تعليمها عن الشهادة الثانوية، ولو كانت جامعية، فهو أفضل، حتى تستطيع أن تتفاهم معي، وأتفاهم معها، وأن تساعد أولادها في المستقبل.

والثالث- أن تكون على قدر من الجمال يرضيني؛ فخير النساء من تسر إذا نظرت، وتطيع إذا أمرت، والجمال أمر نسبي، فما

يعجبني قد لا يعجب غيري، وما يعجب الآخرين قد لا يعجبني. والناس في ذلك جُد متفاوتين. المهم أن أراها فتدخل قلبي. والناس يقولون: الحب مستغنٍ عن الجمال؛ يعنون: أن الرجل قد ينظر إلى امرأة فتستهويه وتملك عليه قلبه من أول نظرة، وهي في عينه ملكة جمال، والآخرون ربما لا يرون فيها شيئا من الجمال.

والرابع- شرط غريب في نظر الكثيرين، وهو: أن يكون لها إخوة أشقاء من الذكور خاصة، وسر ذلك: أني وحيد أبي، فليس لي إخوة، ومعنى هذا: أن أولادي لن يكون لهم أعمام؛ فينبغي أن يكون لهم أخوال.

هذه شروطي الأربعة، التي أعلنتها وأشعتها بين الأصدقاء، وعلى أساسها يجب أن يكون بحثهم معي عن النصف الآخر، وقد طفقوا يبحثون، وطفقت أنا أبحث أيضاً.

محاولات عدة لم يكتب لها التوفيق:

وفي أثناء بحثي عثرت على فتاة رأيتها ضالتي التي أنشدها، كانت تدرس معي في معهد الدراسات العربية العالية، وفي قسم اللغة العربية والأدب الذي أدرس فيه، وهي على قدر ملائم من الجمال يرضي تطلعي، وهي خريجة قسم اللغة الإنجليزية من كلية الآداب، ويمكن أن تساعدني في تعلم اللغة، وهي محجبة، وعلى غاية من الأدب والحياء وحسن السلوك، وهي تصغرني بنحو خمس أو ست

سنوات، وسألت عنها، فعرفت أنها غير متزوجة، ثم عرفت أنها شقيقة أحد الإخوة الأفاضل، كان زميلا لي في معهد طنطا، وإنْ كان بعدي بسنتين، وكان من طلاب الإخوان، فاستبشرت بذلك؛ فهو يعرفني جيداً وأنا أعرفه، وبالفعل كتبت إليه أطلب التقدم لخطبة شقيقته إذا لم يكن هناك مانع. وسرعان ما جاءني جوابه ويحمل كثيراً من الثناء عليّ، والترحيب بي، وأني نعم الزوج، ونعم الصهر... لولا أن شقيقته مخطوبة لابن خالها من الصغر.

وقلت هنا ما يقوله الناس في هذا المقام: «الزواج قسمة ونصيب».

وبدأ الأصدقاء يرشحون لي أسماء لفتيات من مدن وبلاد شتى؛ فأحياناً أرفض العرض لنقص شرط من الشروط التي وضعتُها.

من ذلك أن أحد إخواننا الوعاظ، وكان معنا في مدينة العريش في شهر رمضان، كان هو مبعوثاً من الأزهر، وكنت أنا مبعوثاً من وزارة الأوقاف، وقد رشح لي فتاة من قريته قريبا من دمياط، هي وحيدة أبويها، وترث من أبيها ستين فداناً، وهي ثروة تغري الكثيرين، ولكني أعرضت عنها لسببين:

السبب الأول- أنها وحيدة أبويها، وأنا أشترط أن يكون لزوجتي أشقاء.

السبب الثاني- أني عرفت أنها كانت مخطوبة لضابط بالجيش استشهد في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م، فخشيت أن تكون معلقة القلب به، وهذا قد يسبب مشكلة نفسية في المستقبل.

ورشّح لي أحد الإخوة في محلة أبو علي ابنة قريبٍ له في قرية (الراهبين) بجوارهم، ولكنهم اعتذروا، ولعل وضعي المادي لم يقنعهم، فقد كنت موظفاً في أولى درجات السلم الوظيفي، وليس لي ميراث من أبي وأمي، فما الذي يجعلهم يرضون بي على هذا الوضع، والرجال كثير؟

ورشح لي أحد الإخوة من المحلة ابنة قريب له من إحدى قرى مركز المحلة، كان معنا في السجن الحربي، وكان من خيرة من عرفت ديناً وخلقاً وفضلاً، ولكنه من أسرة كبيرة من أعيان قريته، ولا غرو أن جاءني الرد بالاعتذار، وأعتقد أن هذا من حقه؛ فالفرق الاجتماعي بيننا كبير، فأنا من أسرة صغيرة من الفلاحين أو من الأهالي، وهو من أعيان القوم.

وأعتقد أن هذا كان خطأ مني في تقدير الأمور؛ فالرجل – وإن كان من صفوة الإخوان – من عائلة كبيرة لها تقاليدها. ومثلي لا يصلح لها. وخصوصاً مع وضعي المادي والوظيفي الناشئ، صحيح أن تراثنا يقول: العالم كفء لبنت السلطان، وكم من علماء تزوجوا

من بنات الأمراء والوزراء. ولكن لابد أن يكون العالم في وضع مادي يسند ظهره.

على أن تفسيري هذا ليس حتميًّا؛ فقد يكون الرجل نظر إلى الأمر نظرة أخرى، وهو أني رجل معرض للزلازل والمحن في حياتي بحكم عملي الدعوي، وهو لا يريد لابنته أن تُبتلى بالمحنة التي ابتليت بها زوجته حين اعتقل، ومن حق كل أب أن يحرص على ما يراه ضروريًّا لسعادة ابنته.

وكذلك رشح لي بعض إخواني في المحلة ابنة شقيق أخ معروف منهم، وهو من أعز أصدقائي، وهي في السنة النهائية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، وتوشك نتيجتها أن تظهر، وأنها على قدر طيب من الجمال. وفعلا اتصلت بعم الفتاة، وأفضيت إليه برغبتي وطلبي، فاتصل بأخيه وأسرته وحددوا لي موعداً لأرى الفتاة وتراني، فإذا تمت موافقة كل منا على الآخر، شرعنا في الخطوات التالية.

وسافرت إلى المحلة في اليوم الموعود، ووجدت القوم ينتظرونني، وقد أعدوا ما يشبه أن يكون حفلا صغيرا، ورأيت الفتاة، والحمد لله قد أعجبتني وحدثتها وحدثتني، وتجاوبنا معاً، واتفقنا على أن نلتقي لقاءً آخر بعد ظهور نتيجتها.

وعدت إلى القاهرة وأنا قرير العين سعيد الأحلام، لا تسعني

الدنيا من الفرحة، صحيح أنها ليست محجبة، ولكنها محتشمة، ولا تمانع أن تتحجب في المستقبل، كما يبدو لي.

وبقيت أياما على هذه الحالة من السرور والاستبشار، حتى جاءني من يخبرني بأن الجماعة في المحلة يعتذرون عن عدم إتمام المشوار الذي بدأناه لظروف طارئة، لم يفصحوا عنها، ولا أدري حتى الآن ما هي؟ وقلت مرة أخرى: الزواج قسمة ونصيب.

ثم رشح لي بعض الإخوة من طنطا فتاة من أسرة يعرفونها، ورتبوا لي لقاء في بيت أحدهم، وحضرت الفتاة مع بعض أهلها، وحضرت معهم، ورأيتها، كما رأتني، ولكنها لم تدخل قلبي، ولم ترُق لي. وإن كانت هي قد استعجلت وأشاعت بين زميلاتها أن فلانا خطبني، مع أني لم أقل كلمة واحدة تفيد قبولي لها بالتصريح أو التلويح. وهذا آلمني كثيرا. فما أحب أن أجرح شعور أحد.

وكذلك رشح لي بعض أبناء قريتي ابنة أحد رجال القرية من موظفي شركة الغزل بالمحلة، وممن يقيمون بالمحلة منذ زمن، ودعاني والد الفتاة لأراها في منزله، وألقيت نظرةً عليها، ولكنها للأسف لم تنل إعجابي، ولم ينفتح لها قلبي، وماذا أصنع في هذا القلب؟ إنني لا أملك أن أفتحه أو أغلقه، فإن الذي يفتحه ويغلقه هو الله.

ولقد تألمت من نفسي أشد الألم، واستبدّ بي شعور يكويني كيًّا كلذع الجمر؛ حيث لم تقع الفتاة موقعها مني، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف أسمح لنفسي أن أؤذي مشاعر بنات الناس

واحدةً تلو الأخرى؟ وكأني وحيد دهري، وفريد عصري! ولماذا لا يكون العيب فيّ أنا، وليس في هؤلاء الفتيات؟ ربما كنت معجباً بنفسي أو مغروراً أكثر من اللازم، والعُجب والغرور من (المهلكات) كما سماها الإمام الغزالي في الإحياء أخذاً مما جاء في الحديث الشريف.

على كل حال قد آليت على نفسي ألاّ أرى الفتاة التي أريد خطبتها بهذه الطريقة الرسمية أبداً. وإنما أفعل ما كان يفعله سيدنا جابر بن عبد الله عندما أراد أن يتزوج، فقد قال: كنت أتخبأ لها تحت شجرة، حتى رأيت منها ما دعاني إلى زواجها.

وأخيراً وفّق الله:

وبعد هذا المشوار الشاق الحافل بالمحاولات الفاشلة جاء الفرج والتيسير من الله الذي قضت سنته أن تجعل بعد العسر يسرا، وبعد الليل فجرا.

لقد رشح لي عدد من أصدقائي بمحلة أبو علي وسمنود فتاة من عائلة طيبة الأصول، كريمة المعدن، والدها يعمل ناظراً بإحدى المدارس في مركز سمنود، وخالها طبيب كبير مشهور، ولها ثلاثة أشقاء، أكبرهم خريج كلية الحقوق، وهو يقضي الآن مدة التجنيد الإجباري، وقالوا لي: نظنك تعرفه، فقد كان معتقلاً معك في السجن الحربي، وهو الأخ سامي عبد الجواد الهرم. وقد حصَلَت على الشهادة الثانوية، ولم تسمح ظروفها العائلية بالسفر إلى القاهرة

للدراسة بالجامعة، وهي الآن في العشرين من العمر أو فوق العشرين بقليل، وهي على قدر طيب من الجمال باعتراف الجميع، كما أنها على قدر أطيب من حسن السيرة والخلق يشهد به كل من خالطهم.

قلت للإخوة: أما الأخ سامي عبد الجواد، فأنا أعرفه جيداً، وهو مفتاحٌ جيد لهذا الباب.

وقلت في نفسي: الحمد لله، هذه والله مناسبة من جميع الوجوه، وفيها توافرت الشروط الأربعة التي وضعتها لمن أختارها، وهي: العائلة والجمال والثقافة والأشقاء. لعل الله جل ثناؤه يكون قد كتبها لي.

ولكن بقي شيء مهم، وهو أن أراها؛ فرأي الناس فيها لا يكفيني، وفي قضية الجمال تختلف أذواق الناس اختلافاً كثيراً. وقد شرع لنا الإسلام أن يرى الرجل من يخطبها، كما يشرع ذلك للمرأة أيضا. وقد خطب المغيرة بن شعبة من الصحابة امرأة، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فقال له: هل نظرت إليها؟ قال: لا، قال: «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

وقال الإخوة الكرام الوسطاء: محمد بدر عبد الباسط وعلى خلَف من سمنود، ومصباح عبده ورمزي الدمنهوري من محلة أبو علي: نرتب لك لقاءً تراها وتراك، قلت لهم: لقد حلفت ألا أفعل ذلك؛ لما سبَّبْتُه من أذى نفسي لبنات الناس، ولكن يجب أن

تساعدوني في رؤيتها بدون علمها، وهذا جائز شرعا ما دام القصد هو الارتباط الحلال وفق شرع الله.

وفعلاً رتبوا ترتيبا حسنا؛ فقد كانت الفتاة المرشحة صديقة صدوقة لشقيقة الأخ محمد بدر عبد الباسط، وكانتا زميلتين في الدراسة، وبينهما تزاور وتلاق مستمر، وكانت الخطة: أن تذهب شقيقة الأخ محمد للعروس وتصحبها من بيتها لزيارةٍ أخرى، وأن أنتظر في مكان معين مناسب في الطريق، ومعي بعض هؤلاء الإخوة ليعرفوني: من هي منهما؟ وقد تحقق ما اتفقنا عليه، ومرت الفتاتان في المكان المعهود عند مكان اسمه (سيدي محمد)وقيل لي: إنها تلك صاحبة الفستان الأصفر، فقلت:الله أكبر. هذه هي العروس التي كنت أبحث عنها. لقد انفتح لها قلبي من أول نظرة. والعين رسول القلب. وسألت الله أن ييسر الأسباب لإتمام الأمر على ما يحب ويرضى.

وهنا قال إخوة الأصدقاء الوسطاء: بقي عليك الآن أن تتحرك، وتبدأ الخطوة الأولى. وهي الاتصال بشقيقها الأستاذ سامي الذي عرفته في السجن الحربي، وهو يعرفك من قديم كما نعرفك، وازداد معرفة بك داخل السجن قطعاً، وهو يقضي فترة التجنيد في القاهرة، ويخرج كل يوم خميس ليقضي أجازته عند خالته في حلوان، وتستطيع أن تقابله هناك. وأعطوني العنوان، وأوصوني بسرعة التحرك.

ولقد عرفت الأخ سامي فعلاً في السجن، واسترحت إليه لِما لمست فيه من ذكاءٍ وأخلاق ونشاط وبشاشةِ وجه، وحسن خلق، وحضور شخصية، ولم أكن أحسب أن القَدَر سيربط بيننا بمصاهرةٍ أبدية، وأنه سيصبح الخال الأكبر لأولادي.

لذا حين عدت إلى القاهرة بدأت أتهيأ للقاء الأخ سامي في أول مساء خميس يأتي. وذهبت إلى حلوان لأبحث عن العنوان الذي أعطاه لي الإخوة، ولم يكن لي معرفة ولا خبرة بحلوان، لهذا ضللتُ الطريق، وأخطأت العنوان في أول الأمر، وكلّفني هذا مشيا طويلا على قدمي، وبخاصة أننا في الليل، ولكني لم أحس بطول المشوار، وهو مشوار محببٌ إلى نفسي، ولا بأس على المرء أن يجهد ويتعنّى في تحقيق آماله، حتى يعرف قيمتها إذا تحققت.

ووصلت إلى منزل الخالة نجية خالة سامي وخالة العروس، ودققت الباب، فخرج الأخ سامي، وفوجئ بي، فقال: أهلاً وسهلاً، وتعانقنا، وجلسنا في حجرة الضيوف التي يسمونها (الصالون). ورحب بي الأخ سامي الذي لم يرني منذ أيام السجن الحربي، ولم يكن يتوقع هذه الزيارة التي لا يدري سببها. وقد كان يعرفني شيخا معمما، فها هو يراني قد غيرت زيي القديم، لأرتدي الحلة الإفرنجية (البذلة).

وبادرت أنا بالحديث لأقطع دهشة المفاجأة، وقلت: هل تعرف يوسف القرضاوي؟ قال: كيف لا أعرفه؟! أخونا الكبير وأستاذنا.

قلت: وهل تعرف إسعاد عبد الجواد؟ قال كيف لا أعرفها وهي أختي وشقيقتي؟ قلت: بلا مقدمات وتطويل، لقد جئت لأخطبها، فما قولك؟ وأنا الآن موظف في وزارة الأوقاف، ومستقر والحمد لله. قال: مبدئياً هذا يسعدني، ولكنك فأجاتني، ولابد من تمهيد الأمر عند العائلة، وخصوصا الوالد، فأعطني فرصة حتى أردَّ عليك... ثم دخل عند خالته ليحضر لنا الشاي، ولكنه انتهز الفرصة وكلمها فيما جئت من أجله. فقالت له: أتح لي الفرصة لأراه و(لأخطبه) نيابة عن إسعاد ابنة أختي، فقال لها: يمكنك أن تريه من نافذة الحجرة إذا خرجتُ إلى الشارع. وقد علمتُ أنها – رحمها الله – خرجت إلى الشارع ونظرَت وحدقت، وقدمت تقريرا كان في صالحي.

سرتني هذه المقابلة الأولى، واستأذنت في الانصراف، منتظراً الرد من الأخ سامي، بعد أن يكتب إلى والده، ويشاور العائلة.

وكان سامي في صفي، واجتهد أن يقنع والده بقبولي خاطباً لابنته الوحيدة، وأن يضفي علي من الصفات (والمقبّلات) ما يروج عند والده رحمه الله.

ولم يكن لدى والده أي اعتراض عليّ إلا من جهة واحدة، وهي: أني من الإخوان، ومن دعاتهم الناشطين، وأن أي محنة تأتي سأكون في طليعة المعتقلين، وقد جرب ذلك في سامي. وقال لزوجه أم سامي: يعني في أي بلوى تصيب الإخوان، سيكون ابنك وزوج

ابنتك كلاهما في المعتقل !

وكانت الحاجة أم سامي معي، فقالت له: لماذا نفترض البلاء قبل وقوعه؟ وهل نعرف نحن ما يخبئه المستقبل؟ كل الناس يمدحون هذا الرجل، فلماذا نخسره؟ لندع أمر المستقبل لله.

وكان ممن سألوهم عني: الأستاذ مصطفى الحسني ابن عمة سامي والعروس، وهو أزهري يعمل في مهنة الصيرفة. وكان طالباً قبل ذلك في معهد طنطا، وقد عاصرني فيه، فلما سألوه عني أوسعني مدحا وثناءً، بما يعرفه عني في العلم والخلق والسلوك وحسن السمعة، ثم قال لهم: إن ابن عمته – الأستاذ يوسف النجار – زميل لي يعمل في الصيرفة، وسأسأله عنه وآتيكم بالمزيد، وابن عمتي هذا هو الذي كنت أسكن معه في السنتين الأولى والثانية بالمعهد الديني، وهو يعرفني منذ الطفولة ويعرف مدخلي ومخرجي، فأعطى تقريرا عني، نقله مصطفى الحسني إلى خاله الأستاذ عبد الجواد فزادهم ثقة واطمئنانا.

إلى سمنود ثم المنصورة:

وكل الأزهريين في سمنود الذين سألوهم لم يجدوا بينهم أحداً قال عني كلمة سوء. جزى الله الجميع عني خيرا، وجعلني عند حسن ظنهم.

وأرسلت الخالة نجية من حلوان إلى أختها أم سامي تقول لها:

إنها رأتني، وإنها تنوب عنها وعن إسعاد ابنتها، وتحب أن تطمئنهما إلى صورة (العريس) وشكله وطوله وعرضه.

وكانت حصيلة هذا كله: الموافقة من العائلة عليّ، وأبلغني الأخ سامي بذلك، على أن نلتقي لنتحدث في التفاصيل والإجراءات.

والتقينا في أقرب خميس في حلوان في منزل الخالة نجية التي تعرفت عليها وعلى زوجها الأستاذ عبد المنعم جابر، وقالت لي: إنها ساهمت في إنجاز الأمر بما قدمَته من تقرير عني للعروس ولأمها، فهما رآياني بعينيها.

الرحلة إلى سمنود ثم المنصورة لشراء الشَّبْكة:

واتفقت مع الأستاذ سامي على المهر و(الشبكة) وعلى موعد عقد القران. وفي أواخر شهر يوليو ذهبت إلى منزل والد العروس في سمنود لأول مرة، ومعي: السكّر والشربات وعلب الحلوى التي توزع على المدعوين ونحو ذلك. وعندما وصلت إلى المنزل قلت لهم – والعروس حاضرة، وقد رأوني لأول مرة –: أما أنا فقد رأيت العروس من قبل رؤية خاطفة، ولكنها كافية، وهي لم ترني إلا الآن، ومن حقها ألا تتم الصفقة إذا لم تعجبها البضاعة عند المعاينة، والقاعدة الشرعية: أن «من اشترى ما لم يره، فله الخيار إذا رآه». وضحكوا وقالوا: يبدو أن العريس دمه خفيف. وقالوا: كيف نرجع في كلامنا بعد أن أحضرت الشربات ولوازم الفرح؟ قلت: ولكننا ما زلنا على البر.

وبت عندهم تلك الليلة. وجلست مع العروس في حضور أهلها، وتعرفت عليها، وتعرفت علي، واستراح كلانا إلى الآخر. أو (دخل قلبه). وفي الحديث الصحيح: **«الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**، ويبدو أن روحينا قد تعارفتا فائتلفتا، وهذا من فضل الله.

رأيي فيما يسمى (الشبكة):

وفي الصباح تقرر أن نذهب إلى المنصورة لنشتري ما يسميه المصريون «الشبكة»ولا أدري بالضبط:من أي عهد أصبحت هذه الشبكة من الفرائض المقررة في الزواج؟ ولم يكن يعرفها المسلمون الأولون، بل هي لا تُعرف في كثير من البلاد العربية والإسلامية. ولكن العُرف أقرها وأمضاها، وللعرف اعتباره.

وقال الفقهاء في قواعدهم: «العادة محكمة». وقالوا: «المعروف عرفاً كالمشروط شرطا».

على أن كثيراً من الأعراف دخلت على المسلمين في كثير من البلدان في دنيا الزواج، فعسّرت على الناس ما يسّر الله، وعقدت ما سهله الشرع. وخصوصا أنهم التزموها كأنها أساسيات أو أركان، مثل الشبكة وكثرة الاحتفال، وغلاء المهور، وشهر العسل وغيره.

على أني لا أجد مانعا من قبول فكرة «الشبكة»على اعتبار أنها نوع من الهدية يهديها الخاطب إلى مخطوبته، وقد جاء في الحديث:

«**تهادوا تحابوا**» على ألا يبالغ الناس فيها بحيث نرهقهم من أمرهم عسرا، ونكلفهم شططا؛ فالخير في الاعتدال والوسط، لا في الغلو والشطط.

ذهبنا إلى المنصورة أنا والعروس بصحبة الحاجة رابعة أم الأخ محمد بدر عبد الباسط، وشقيقته مجيدة صديقة العروس، التي رتبت فرصة رؤيتي الأولى لها، وهي صديقة أم العروس، وقد أنابتها عنها في شراء الشبكة؛ لأنها مشغولة بإعداد الطعام للضيوف، وعلى رأسهم (عريس)[1] البنت الوحيدة، وكانت الحاجة رابعة سيدة من فضليات الناس، ولها خبرة بمحلات الذهب، وبائعيه، والثقات منهم، وتعرف ما المطلوب في هذه المناسبة.

ومشينا في شوارع المنصورة، وكانت خطواتي سريعة؛ فكنت أسبقهم بمسافة، فقالت لي الحاجة: يا أستاذ يوسف، لابد أن تعود نفسك من الآن على المشي المناسب للنساء؛ فلا تسرع الخطوات كثيرا، وإلا تركت زوجتك تمشي لوحدها !

وكانت نصيحة مهمة؛ فالمشي مع النساء لا تناسبه السرعة التي تعودتها في عهد العزوبة.

واشترينا شبكة محترمة على ذوق العروس، وكان الذهب

---

(١) لفظ (عروس) يصلح للرجل والمرأة، فكلاهما عروس، ولكن المصريين فرقوا بينهما، فسموا الرجل (عريسا) والمرأة (عروسة).

رخيصاً في ذلك الزمان، فكان ثمنها أقل من ستين جنيها فيما أذكر.

فكرة (الدِّبَل) فكرة دخيلة :

وكان من ضمن الشبكة «دبلة» للعروس من الذهب يكتب عليها الحرف الأول من اسم «العريس»وتاريخ الزواج «عقد القران»ودبلة من الفضة للعريس يُكتب عليها الحرف الأول من اسم العروس والتاريخ. وكان التاريخ هو: يوم ٣١/٧/١٩٥٨م. وهو اليوم الذي اتفقنا فيه على عقد القران.

وعندما تلبس الفتاة هذه «الدبلة»تعرف أنها مخطوبة، فإذا زفت إلى زوجها نقلت الدبلة من يد إلى الأخرى (من اليمنى إلى اليسرى).

وفي اعتقادي أن هذه العادة «تلبيس الدبل» دخيلة على المسلمين، ولعلها مأخوذة من النصارى؛ فعندهم خاتم الزواج، وله قدسية خاصة.

على أية حال جاريت القوم في قضية الدبل هذه، ولكني اشترطت أن تكون من فضة لا من ذهب، كما يفعل أكثر الناس للأسف، وبعد مدة خلعت دبلتي الفضية وقلت لزوجتي: إني لا أجد لها أصلا، ولا ينبغي لمثلي أن يقلد الناس في ذلك. فقبلت ذلك مني، وتفهمت الأمر، جزاها الله خيراً. فإن بعض النساء قد تتطير من ذلك، وتتوجس شرًّا من وراء خلع الدبلة.

وعدنا إلى سمنود لنأكل «الديك الرومي» الذي أعدَّته حماتي

ترحيباً بالعريس، واحتفالاً بشراء الشبكة.

أجمل رسائل الغرام... بيني وبين زوجتي:

وبعد يومين قضيتهما في سمنود – بالقرب من العروس – كانا من أسعد الأيام في حياتي، ذهبت إلى قريتي «صفط تُراب»؛ لأدعو الأقارب والأحباب والمهمين من أهل القرية لحضور عقد القران في سمنود في عصر يوم ٣١-٧-١٩٥٨م.

وفي اليوم المحدد ذهبت مع الأهل والأقارب إلى سمنود لعقد العقد أو (الميثاق الغليظ) كما سماه القرآن الكريم، وقد أُعد سرادق أمام منزل العروس، وعقد العقد على بركة الله تعالى، بحضور هذا الجمع الكريم من أهل سمنود، وأهل صفط ومحلة أبو علي، وفي الليل عاد المدعوون من أهل صفط وطنطا وغيرهما إلى بلدانهم، وبقيت أنا في منزل الأصهار، وقد أصبحت واحداً منهم؛ فالمصاهرة أحد الرابطين اللذين يربط الله بهما بين الناس برباط طبيعي. وهما النسب والصهر، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان:٥٤].

يا سبحان الله ! إن هذه الكلمات القليلة: زوجتُك ابنتي فلانة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ.. وقبلتُ الزواج منها... بحضور الشهود، تحل للإنسان ما كان محرماً، وتدخله في أسرة كان غريبا عنها، وتنشئ بيتا إسلاميًّا، يُضم إلى بيوت المسلمين.

بقيت مع عروسي بعد أن أمست زوجة شرعية لي، ولم يعد أهلها حريصين على أن يكون بيننا رقيبٌ من إخوانها الصغار، كما كان ذلك قبل العقد. وتحدثت إليها، وتحدثت إليّ، وطال الحديث الذي لم ينقطع إلى اليوم، والحمد لله.

كان أصهاري كرماء معي؛ فلم يطلبوا مني من الصداق ما يؤدد ظهري، وقالوا: ادفع ما تقدر عليه، فدفعت مائة جنيه مقدماً، وسجلت عليّ خمسين مهراً مؤخراً.

ووفقاً للتقاليد المصرية، كان على والد العروس أن يعد لها جهازاً لائقاً: ثلاث حجرات: للضيوف (الصالون) والطعام (السفرة)والنوم. وعليّ السجاجيد والنجف والمطبخ.

وبعد يومين أو ثلاثة غادرت سمنود بعد أن تعلّق قلبي بعروسي، وتعلق قلبها بي، في انتظار أن يكمل تصنيع الجهاز الذي يقوم به محل أثاث متخصص مشهور بالإتقان، يملكه أحد أقارب حماتي (ابن عمتها).

وسافرت من سمنود إلى مدينة «بورسعيد» لأقضي نحو عشرة أيام على شاطئها، مع ثلة من المشايخ والإخوان، على رأسهم شيخنا الشيخ محمد الغزالي، وقد تنازل بعض الإخوة عن شققهم على الشاطئ لننزل فيها، فكان مصيفنا بالمجان. وقد أعطيت عنواني لزوجتي، فسرعان ما جاءتني رسالة منها، كان لها وقع الماء البارد الزلال على الجوف الظامئ المحترق.وقد حاول بعض الأصدقاء أن

يخطفوا الرسالة مني حين عرفوا أنها من سمنود؛ ليعرفوا ماذا قالت لي زوجتي، ولم يحدث بيننا لقاء إلا أياماً معدودة، ولم أمكّنهم من ذلك ورددت عليها برسالة بثثتُها ما في قلبي من شوق وحنين إلى لقاء قريب. وفي هذه الفترة حتى الدخول في ١٤-١٢-١٩٥٨م، تبادلنا جملة من الرسائل التي تحمل أصفى ألوان الحب والشوق والغرام، وهو نوع راق من الحب العميق النقي الذي يبدأ بعد الزواج، بعد أن يعرف كل من الزوجين صاحبه، ويأنس به، ويسكن إليه، وتقترب روحه من روحه.

ولما انتهت رحلتنا إلى بورسعيد عدت إلى سمنود، لأبقى بها يوماً أو يومين، ثم أسافر إلى القاهرة، وأحياناً إلى قريتنا. وهكذا ما بين كل حين وآخر أخف إلى سمنود؛ لأطفئ بعض شوقي، وأروي بعض ظمئي، ولو كان لي أن أقيم هناك لأقمت، ولكن الظمأ يجزيه من الماء أيسره. ولا أريد أن أكون ثقيلاً على أصهاري، كما لا أحب أن أخرج على الأعراف السائدة في زيارة الزوج لزوجه قبل الدخول، وحسبي أن أمرَّ بين حين وآخر، لمناسبةٍ وأخرى، كمناسبة ذكرى المولد وغيرها. والشاعر يقول:

كم جئت ليلى بأسبابٍ ملفَّقةٍ   ما كان أكثرَ أسبابي وعلاَّتي !

والحقُ أن هذه الأشهر – منذ عقد القران إلى الدخول – مرّت بطيئة بطء السلحفاة، وخُيل إليّ أن الزمن لا يتحرك، وأن الفلَك لا يدور، بت أستعجل الأيام حتى تزف إليّ عروسي، ويجتمع شملي،

ولا سيما أني أعيش وحدي في شقة لا يكاد يوجد بها شيء من أسباب الحياة، وأنا رجل لا أحسن خدمة نفسي؛ فأنا خائب في أعمال المنزل، لا أحسن الطبخ، ولا الغسل، ولا التنظيف، وكان إخواني طوال فترة دراستي هم الذين يقومون بهذه الأعباء عني تكرُّماً منهم. وكان هذا من فضل الله تعالى عليّ ورحمته بي.

والآن لم يعد معي أحد، كان الأخ العسال يسكن معي، ثم ترك لي الشقة – فضلا منه – لأتزوج فيها، فأصبحتُ وأمسيتُ وحيداً مستوحشاً، أفتقر إلى من يؤنسني.

وليس هناك عائق يمنعني من البناء بزوجتي غير الأثاث الذي يصنعه أصهاري عند قريبهم، وهو رجل مشهور بمُطله، ويمكن أن يصنع الأثاث لشخص؛ فإذا جاءه عميلٌ يشتريه في الحال ويدفع له ثمنه، فلا مانع أن يبيعه له، ومن هنا طلبت منهم أن يضغطوا عليه، وألحتُ في الطلب لمسيس حاجتي إلى من يقوم بشأني وشأن بيتي.

وقد استجابوا لرغبتي جزاهم الله خيراً، وشرعوا يهيئون الأثاث، ويجهزون العروس بما يلزم لها، وتقرر الزفاف – بحمد الله – في ١٤-١٢-١٩٥٨م، ونقلنا الأثاث من سمنود إلى شقتي بالقاهرة، في حدائق شبرا شارع الشيخ عبد الرحمن قراعة رقم ١٥أ.

وفي الليلة السابقة على الزفاف أقيم حفل عائلي محدود، جمع الأقارب – وأخص الأصدقاء – في منزل العروس. وفي اليوم التالي (١٤/ ١٢) أعارنا عمدة قريتنا سيّد بك خِضر سيارته لأمتطيها أنا

وعروسي ووالدتها إلى شقتنا المذكورة، وقد حملت معها من ألوان الطعام الفاخر ما يكفينا لعدة أيام، وخصوصا أننا في فصل الشتاء؛ فنعمنا بالرومي والبط والحمام.

وبعد أيام تركتني حماتي، وأوصتني بابنتها خيرا، وقالت: إنها أمانة عندك. فقلت لها: إنها في عيني، وأنا أولى من يصون الأمانة إن شاء الله. لقد باتت جزءاً مني، كما أني جزء منها.

وهذه حقيقة فالزواج يقرب بين الزوجين حتى يجعل منهما كياناً واحداً، عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[البقرة:١٨٧] بكل ما توحي به كلمة (لباس) من القرب واللصوق والستر والدفء والزينة.

والعرب تعبر عن الرجل في هذه الحالة بكلمة (زوج) وكذلك عن المرأة؛ فهي أيضاً (زوج) كما قال الله تعالى لآدم: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] وكلمة (زوج) معناها: اثنان، ومعنى هذا: أن كلا منهما – وإن كان فرداً في الظاهر– هو زوج في الباطن أو في الحقيقة؛ لأنه يحتوي الطرف الآخر بمشاعره وعواطفه.

إلهام وسهام.. بنات خير النساء:

وما هي إلا أسابيع حتى حملت زوجي بابنتي البكر (إلهام) التي وضعتْها عند أهلها في سمنود؛ لتكون تحت رعاية والدتها وذلك في ١٩-٩-١٩٥٩م.

وملأت علينا الطفلة الصغيرة بيتنا بهجة وفرحة وحركة. والمصريون يقولون: «الأطفال قناديل البيوت»؛ أي إنهم ينيرونها ويملؤنها حياة وحيوية بصراخهم وضحكهم وبكائهم، ولاسيما الطفل الأول، الذي يحذر علماء النفس والتربويون أن يرخي أهله له العنان ويدللوه أكثر مما ينبغي فيفسدونه.

والمصريون يقولون أيضاً: «خير النساء من بكرت بأنثى». واحسب أنهم استنبطوا ذلك من قوله الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[الشورى] فبدأ سبحانه في هذه الآية بهبة الإناث.

ولم يكد يمر شهران حتى حملت زوجتي بابنتي الثانية «سهام» التي ولدت بالقاهرة في ٥-٩-١٩٦٠م، أي قبل أن تكمل إلهام سنتها الأولى، وقد كان لدي امتحان الدراسات العليا في ذلك اليوم، فخرجت من الصباح، ولا تشكو زوجتي من شيء، ثم جاءها المخاض، واشتد بها الطلق، وكان الأخ سامي صهري مع شقيقته ووالدته في شقتنا فاضطر هو أن يقوم بإحضار المولّدة، وما يلزم للولادة، وقال عني: «أمه داعية له، خرج هو وحملني العبء!»، وقد أصبحت إلهام وسهام كأنهما توأمان؛ لتقاربهما في السن، وتعلق سهام أن تكون مع أختها حينما جاء سن المدرسة، ثم قدر الله تعالى أن تدخل الأختان المدرسة في عام واحد، وأن تحصلا على الثانوية

معاً، وأن تحصل كلتاهما على البكالوريوس بامتياز في سنة واحدة من كلية العلوم، إلهام في الفيزياء، وسهام في الكيمياء، وإن تعينا معيدتين كل واحدة في قسمها، وأن تتزوجا في أسبوعين متتاليين، وأن تحصل كل منهما على بعثة لدراسة الماجستير والدكتوراه، وأن تحصلا عليها من إنجلترا: إلهام في الفيزياء النووية، وسهام في الكيمياء الضوئية.

أما أولادي الخمسة الآخرون (علا وأسماء ومحمد وعبد الرحمن وأسامة) فقد ولدوا في دولة قطر بعد إعارتي إليها بعد، وسيأتي الحديث عن ذلك في حينه.

أعتبر أن زواجي كان موفقاً؛ فقد رزقت بزوجة كانت لي قرة عين، سعدت بها وسعدت بي، فهمتني وفهمتها، كان فيها جملة من الأخلاق الزكية، والفضائل المرْضية؛ فهي مقتصدة في حياتها، مدبرة لأمر بيتها بالحكمة، لا تنظر إلى غيرها، ولا تقول: أريد أن أكون مثل فلانة، بل هي قانعة بعيشنا راضية به تماما. وشاركتني الحلوة والمرة بلا تذمر، وعاشت تصبر على تنوع أعبائي بلا ضجر، وتجتهد في إسعادي بلا مَنّ ولا أذى، وبعد أن وسع الله علينا في الرزق لم أرها يوماً تطالبني بما تطالب به النساء زينة وحلي، بل أنا الذي أبادرها. كانت لي نعم الزوج، ولأولادها نعم الأم، ولا غرو؛ فهي هاشمية حسينية، نشأت في بيت دين وأخلاق، الشيء من معدنه لا يستغرب.

ومن حسنات زوجتي: أنها مكملة لي، فأنا رجل نظري، وهي امرأة عملية، أنا لا أفهم في الميكانيكا ولا الكهرباء ولا الآلات شيئا، وهي ماهرة في هذه الأشياء تصلح مهندسة.

وأذكر أني حينما سلمتها أول مرتب لي لتتصرف فيه: قسمته ثلاثة أقسام: قسم يُدفع أجرة للسكن. وقسم للنفقات الشهرية المعتادة (للمأكل والمشرب والملبس وحاجات البيت). وقسم يدخر للمستقبل. وكان مرتبي لا يزال صغيرا، فأنا في الدرجة السادسة، ولم أحصل إلا على علاوة واحدة، ومن حسن حظي: أن الأزهر صرف لنا ٣ جنيهات بدل تنقل تُصرف عادةً للوعاظ، وأنا مُعيَّن على وظيفة واعظ، وإن كنت لا أمارس الوعظ؛ فهو محظور عليّ.

كما كنت أكتب في مجلة «منبر الإسلام»- وهي مجلة وزارة الأوقاف – في كثير من الأحيان بعض المقالات فأحصل على مكافأة عن كل مقالة ٥ جنيهات، وكانت هذه علاوة مهمة.

***

أخي الحبيب:

في الختام أستودعك الله تعالى، وأرفع الدعاء إليه تعالى أن يلهمك رشدك، وأن يرزقك زوجة صالحة، تقر بها عينك، ويسعد بها فؤادك، ويستيقظ بها إيمانك.

زوجة إن أمرْتها أطاعتك، وإن حفظتها جلَّتك، وإن أهديتها شيئاً به تذكرتك.

زوجة تحفظ الجميل، وتربي الوليد، وتقدس الزواج، وتتحمل ما لا تتحمله الجبال.

قرة عين في الرخاء، عدة حال نزول البلاء، كف حنون يقيم من العثرة، وسحابة تظلك إذا أطلت عليك الأنواء برأسها، وأمّ لك ولكنها أصغر منك، ومستشار لا يبغي برأيه منزلة ولا عطاء، وقلب يخاف عليك ويضطرب من أجلك، وفطرة جُبلت على أن تكتمل سعادتها حين تكتحل بابتسامتك.

الله أسأل أن يجعل ما قرأته وما علمتَه نوراً وهدى وبركة ورحمة لي ولك في الدنيا والآخرة.

آمين، آمين، آمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لمراسلة المؤلف tahtawi@gawab.com

الفهرس